

الجالية العمانية في بلاد الهند خلال العصر الإسلامي :
قراءة تحليلية في أوضاعها وإسهاماتها في الحوار الحضاري العماني - الهندي
(من الفتح الإسلامي حتى أواخر القرن الرابع الهجري/١٠م)

خطة البحث

مدخل: إشكالية الدراسة وأسئلتها المركزية

I - مقاربات لتفسير الانجذاب العماني نحو بلاد الهند :

- ١ - المقاربة المكانية وسلطة التاريخ .
- ٢ - مقارنة التكامل الاقتصادي .
- ٣ - المقاربة الدينية - المذهبية والأمنية .

II - الجالية العمانية من الهجرة إلى الاستقرار والاندماج في المجتمع الهندي :

- ١ - مكونات الجالية العمانية ببلاد الهند .
- ٢ - بداية استيطان بعض العائلات العمانية في بلاد الهند (إبان الفتوحات الإسلامية) .
- ٣ - ظرفية الهجرة والانتقال من عمان نحو بلاد الهند (بعد الفتوحات الإسلامية) .
- ٤ - أماكن استقرار الجالية العمانية .
- ٥ - أوضاع الجالية العمانية ببلاد الهند: (إحصائيات حول عددها، تنظيماتها، مسألة التسامح والتعايش)

III - دور الجالية العمانية في فضاء الثقافة والحوار الحضاري العماني - الهندي :

- ١ - على مستوى الثقافة والدين .
- ٢ - على مستوى العادات و الاندماج الاجتماعي .
- ٣ - على المستوى الاقتصادي والمعماري .

الجالية العمانية في بلاد الهند خلال العصر الإسلامي :
قراءة تحليلية في أوضاعها وإسهاماتها في الحوار الحضاري العماني - الهندي
(من الفتح الإسلامي حتى أواخر القرن الرابع الهجري/ ١٠م)

د.إبراهيم القادري بوتشيش
 جامعة مولاي إسماعيل بمكناس - المغرب

مدخل: إشكالية الدراسة وأسئلتها المركزية :

يندرج موضوع " الجاليات " في نسق تاريخ الأقليات المغتربة عن تاريخها المحلي ، المرتبطة بتاريخ "الآخر" ، هذا الآخر الذي يمتلك ثقافة خاصة وهوية مغايرة ؛ لذلك عادة ما يلف دراسة هذه الجاليات سحب من الغموض ، ويسدل عليها ستار من الصمت والإهمال في المصادر التاريخية المحلية ، وتصبح نسيا منسيا لدى معظم المؤرخين ، رغم الأدوار الطلائعية التي لعبتها الجاليات الإسلامية في نسيج الحضارة البشرية . ومن المتعارف عليه أن الجاليات العمانية خلال العصر الإسلامي الوسيط انتشرت في مختلف أصقاع العالم ، وهو أمر يفسر بفلسفة المذهب الأباضي التي تحث على نشر الإسلام وإشاعة تعاليم المذهب خارج عمان . كما يعزى إلى الطبيعة التجارية للمجتمع العماني الذي جبل تجاره على طي الأرض وشد الرحال إلى الأماكن القاصية ، حاملين معهم بضائعهم وسلعهم ، راغبين في عقد صلات الودّ والتعايش مع الشعوب التي احتكوا بها واستأنسوا بثقافتها وعاداتها ، معتمدين في ذلك على مهارتهم الملاحية التي جعلتهم يمحرون عباب البحار بسفنهم في جميع الاتجاهات . وبعد حط الرحال ، أثر بعضهم الاستقرار خارج الديار العمانية، مشكلين بذلك جاليات تعايشت واندмجت كليا مع أهالي المناطق التي استقروا بها .

وتتعدد النماذج حول الجاليات العمانية التي هاجرت إلى بعض الأصقاع النائية خلال العصر الوسيط ، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر الجماعات العمانية التي هاجرت إلى مدينة ماندلي بزنجبار ، وشكلت بها جالية كان لها من الأهمية ما جعل البعض يطلق عليها اسم ((عمان الصغيرة))^١ . كما انتشرت جالية عمانية في بلاد المغرب ، سرعان ما اندمجت مع أهاليها من الأمازيغ والعرب ، ونجحت في نشر المذهب الأباضي وترسيخ الثقافة الإسلامية بين ظهرائهم^٢ . وبالمثل ، امتدت الجاليات العمانية لتكتسح جنوب شرق القارة الآسيوية ، حيث استوطن بعض التجار العمانيين بلاد الصين ، وقاموا هناك بأدوار مهمة في المجال الاقتصادي^٣ .

^١ سعد علي المغيري ، جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تح ، عبد المنعم عامر ، طبعة مصر ١٩٧٩ ، ص ٨٦ .
^٢ أنظر التفاصيل في كتابنا : التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب ، منشورات جامعة السلطان قابوس ، مسقط ٢٠٠٠ ، ص ٣٥ - ٣٦ .
^٣ عن الحضور العماني في الصين ، خاصة في مجال التجارة ، انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٦٤ (ط٤) ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

بيد أن اهتمامنا سينصب في هذه الدراسة على الجالية العمانية في بلاد الهند خلال الحقبة الممتدة من مطلع الفتوحات الإسلامية حتى أواخر القرن الرابع الهجري . وقد ضمت هذه الجالية فئات متنوعة من التجار والعلماء والقضاة والدعاة والخطباء ، فضلا عن بعض القادة والجنود الذين استقروا بها مع عائلاتهم بعد انتهاء الفتوحات الإسلامية . ولعبت كل هذه الفئات أدوارا مركزية في مجال المعرفة والاقتصاد وال عمران ونشر الإسلام وثقافة السلم .

ورغم أهمية الموضوع ، فإننا لا نزال نفتقر إلى دراسات شافية تسبر غوره وتفك شفراته ، وتلقي الضوء على الجوانب المعتمدة فيه ، وإن كانت أقلام بعض الباحثين حاولت إلقاء حجر في هذه البركة الآسنة ، لكنها سقطت في مزالق الدراسات العامة التي نتج عنها تعميم الأحكام وانعدام الدقة والضبط المنهجي ، بسبب عدم معالجة الموضوع معالجة مستقلة ومتخصصة .

والواقع أن عزوف الباحثين عن تناول الموضوع له ما يبرره ، فدراسة الجالية العمانية ببلاد الهند في العصر الإسلامي الوسيط حقل تعز نصوصه وتندر وثائقه ، إذ لا نكاد نعثر في ثنايا المصادر التاريخية سوى على نصوص متناثرة وتلميحات باهتة ، يغلب عليها طابع الاختزال ، وتعثرها المحدودية والابتسار ، مما لا يسمح بتعميق معول البحث والكشف عما تختزنه ذاكرة التاريخ العماني من حقائق حشرت في غياهب النسيان .

صحيح أن بإمكان الباحث تطعيم هذا الفقر الموهول الذي يعتل الحوليات التاريخية بما ورد من إيماءات غنية وشذرات قيمة في كتب البلدان والرحلات ، خاصة بعض الرحالة الذين زاروا بلاد الهند والتقوا ببعض أفراد الجالية العمانية ، فضلا عن إمكانية استغلال المتون النصية الواردة في القصص الشعبي البحري . ومع ذلك لسنا على يقين بأن هذا التعويض من متون الأدب الجغرافي يسمح بملء كل البياضات التي تعترى الموضوع . لذلك نقترح حلاًّ منهجياً لسد هذه الثغرة النصية والإمساك بخيوطها الغامضة ، ويتمثل في توسيع دائرة قراءة تاريخ الجالية العمانية ببلاد الهند وفق تحليل نسقي واختطاط شمولي يستند إلى وحدة حضارات وثقافات شعوب المحيط الهندي رغم خصوصية هوياتها وتنوعها الحضاري ، لنستنبط من هذا "العام" الحضاري ما هو "خاص" بعمان ، وتوسيع دائرة الفضاء المكاني أحيانا ليشمل شبه القارة الهندية برمتها، ثم الارتكاز على الواضح المكشوف ، للإفصاح عن المبهم والمغيب المختفي وراء سطور الروايات ، مع الاستناد إلى نسق المنطق الاستنباطي لتأويل ما لم يرد به نص صريح ، والاعتماد أحيانا على نصوص متأخرة زمنيا كروايات ابن بطوطة التي تقيد في رصد جذور الجالية العمانية واستمراريتها ، وهي إجراءات منهجية يفرضها بناء البحث بناء علميا متكامل .

أما الأسئلة الكبرى التي تتمحور حولها الدراسة ، فهي :

١- ما هي المقاربات التي يمكن من خلالها تفسير الانجذاب العماني نحو بلاد الهند التي أصبحت فضاء جغرافيا مفضلا لاستيطان الجالية العمانية ؟

٢- ما هي مكونات الجالية العمانية ببلاد الهند ؟ وكيف كانت أوضاعها وتنظيماتها ؟ وكيف استقرت واندمجت وتعايشت مع الشعوب الهندية ؟ .

٣- إلى أي مدى تركت الجالية العمانية بالهند بصمات واضحة في نسيج المجتمع الهندي ونجحت في إفراز معطيات حوار حضاري عماني - هندي مشترك ؟
تلك هي الإشكالية وأسئلتها المركزية التي يروم البحث إثارتها والإجابة عنها حسب ما تسمح به المادة المتاحة والمنهج المقترح.

I - مقاربات لتفسير الانجذاب العماني نحو بلاد الهند :

١ - المقاربة المكانية وسلطة التاريخ :

إن " المكان " في الفضاء الجغرافي لا يشكل خيطا موحها لمجمل الأحداث والتقلبات والمسارات التاريخية كما يذهب إلى ذلك " بروديل " ورواد مدرسة الحوليات التاريخية الفرنسية فحسب ، بل يعكس أيضا حوارا بين الطبيعة والإمكانات المتاحة التي يستثمرها الإنسان ، فيحولها إلى عامل قوة وإسهام حضاري ، وهذا ما ينطبق على عمان . فإذا كانت معظم أراضيها تتميز بطغيان الكثبان الصحراوية أو الجبال القاحلة ، وسيادة رمال صحراء الربع الخالي التي تعزلها عن فضاء الجزيرة العربية ، فإن هذا العنصر الجغرافي شكل عامل طرد بشري نحو البحر ، خاصة نحو الخليج العربي والمحيط الهندي ، وهو معطى استثمره العمانيون - بامتياز - للتواصل مع حضارات المحيط الهندي كافة ، والحضارة الهندية بصفة خاصة . كما أن الامتداد الساحلي لعمان أهلها لتقوم بهذا الدور التواصلي مع شعوب المنطقة ، وحسبنا أن السواحل العمانية التي تشكل أكثر من نصف الساحل الغربي للخليج العربي ، ومعظم نصف الساحل الجنوبي ، جعلها تحتل مكانا وسطا بين شرق إفريقيا وبلاد الهند^٤ .
و بالمثل ، فإن تموقعها في الركن الجنوبي - الشرقي للجزيرة العربية جعلها تتحكم في مدخل الخليج العربي ، علما أن هذا الأخير اعتبر على مرّ العصور معبرا أساسيا للتبادل التجاري بين الشرق والغرب ، وممرا يربط بلدان الخليج العربي بحضارات المحيط الهندي .

يضاف إلى ميزات هذا الموقع ميزة أخرى لا تقل أهمية ، وهو أنه شكل فضاء للجوار الجغرافي بين المنطقتين ، إذ أن عمان تعد أقرب دول الخليج إلى بلاد الهند بحرا ، ولعل ما زاد في هذا التقارب وجود مسالك بحرية لم يفت الجغرافيين العرب التنويه بها^٥ .

ولمَّا كان خليج عمان يقع على حافة منطقة الرياح الموسمية التي تمثل رئة الملاحة ، وكان الساحل العماني أول مرفأ يقابل الداخل للخليج العربي أو الخارج منه ، فإن عمان صارت بهذا الموقع الاستراتيجي أكثر البلدان الخليجية قربا وأكثر تأهلا للتواصل مع بلاد الهند .

^٤ رجب عبد الحليم ، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين ، مكتبة العلوم ، مسقط ١٩٨٣ ، ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ .

^٥ يشير القلقشندي إلى أقرب طريق يصل البصرة بالديبل ، علما أن البصرة كانت موطننا ومستقرا لأباضية عمان ، أنظر : صباح الأعشى في ديوان الإنشا ، تح ، نبيل خالد الخطيب ، بيروت ١٩٨٧ (ط١) ، دار الكتب العلمية ، ج ٥ ، ص ٨٣ .

وقد هيا العمانيون بنية تحتية مناسبة لحركة النقل بين البلدين ، خاصة سفن الشحن الكبيرة التي كانت تنقل البضائع ، وتقل على متنها في ذات الوقت التجار والمسافرين العمانيين القاصدين بلاد الهند أو الصين ، إما للإقامة بها إقامة مؤقتة ، أو الاستقرار بها نهائيا كما سنفصل عند معالجة أوضاع الجالية العمانية بالهند .

إلى جانب هذه المقاربة المكانية التي أثبتت سلطة الموقع والجغرافيا في توجيه أنظار العمانيين نحو بلاد الهند ، ثمة سلطة أخرى لا تقل عنها أهمية ، انبثقت هذه المرة من قوة التاريخ ونفوذه بحيث كانت الصلات التاريخية العمانية - الهندية القديمة متجذرة بين الطرفين وموغة في القدم ، وهو ما تعضده الأبحاث والحفريات الخاصة بالحضارتين القديمتين العمانية والهندية . فإذا اعتبرنا صحة الفرضيات التي قدمها weeler القائلة بأن موقع " ملوفا " يوجد في الجزء الأدنى من حوض السند ، أمكن الوقوف على وجود صلات بشرية قديمة بين عمان والهند ، وهو ما تؤكد الوثائق السومرية والأكدية التي تكشف عن وجود علاقات قديمة بين ملوفا القديمة وماجان التي هي اسم عمان القديمة ^٦ .

و في نفس السياق ، يمكن استثمار نص ورد عند بلييني الأكبر (٢٣-٧٩م) يتضمن إشارة إلى مدينة تسمى Acila على مقربة من رأس مسندم كميناء تبحر منه السفن العمانية نحو الهند ، للدلالة على قدم ورسوخ الصلات البشرية بين البلدين ^٧ .

و بالمثل تكشف نصوص لارسا المدونة في المرحلة التي أعقبت انهيار مملكة أور الثالثة عن لائحة من السلع و المبادلات التجارية بين عمان والهند ، وهو ما ينهض حجة أيضا على الصلات الحضارية القديمة بين المنطقتين .

وقد صحب هذه المبادلات التجارية هجرات قديمة حدثت على شكل موجات بشرية متلاحقة بين عرب عمان والجاليات الهندية كالزط والأساورة والسيابجة وغيرهم ^٨ .

وحسبما هو متوافر من متون نصية ، فإن أقدم جالية عربية استقرت بالهند قرب نهر الهندوس كانت تلك التي أطلق عليها الهنود اسم " عربيته " أو " عربتاك " نسبة إلى العرب ^٩ ، يرجح أحد الباحثين أن يكون العمانيون يشكلون نصيب الأسد فيها ، بدليل أن السفن العمانية وسفن جنوب الجزيرة العربية هي وحدها التي تفردت بالسيطرة على المحيط الهندي ^{١٠} .

وغني عن القول أن ظهور الإسلام زاد العلاقات العمانية - الهندية عمقا ورسوخا ، ورفع من إيقاع المبادلات التجارية والهجرات وعمليات الاستيطان ؛ وحسبنا أن الفتح الإسلامي لبلاد الهند شكل فرصة جديدة للعمانيين للتواصل مع أهلها ، بل منهم من أثر الاستقرار بها . كما أن التحولات التي تمخضت عن انتشار الإسلام وما

^٦ محمد فرزات ، ((العلاقات الحضارية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية حتى الألف الأول قبل الميلاد)) ، مجلة دراسات تاريخية ، ص ٧٣ .

^٧ جورج حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، تر. يعقوب بكر ، مكتبة الأنجلو- مصرية ، (د.ت) ، ص ٥٢ .

^٨ محمد فرزات ، م.س ، ص ٧٨ .

^٩ الشخيلي و الألوسي ، تاريخ الإسلام في إفريقيا و جنوب شرق آسيا ، طبعة بغداد ١٩٨٩ ، ص ٦١ .

^{١٠} جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية عن إفريقيا الشمالية ، اقتباسا من : رجب عبد الحليم ، م.س ، ص ٦٤-٦٥ .

حققه من وحدة اقتصادية للعالم الإسلامي ، وما رافق ذلك من انتشار لشبكة المسالك التجارية البرية والبحرية التي ربطت عمان بالهند ، زاد من وتيرة انتقال العمانيين نحو بلاد الهند .

واستنادا إلى هذه المعطيات ، فإننا قد لا نجانب الصواب إذا أكدنا على عاملي الجغرافيا والتاريخ في نحت مسار التواصل بين عمان وبلاد الهند وانجذاب العمانيين إليها.

٢- مقارنة التكامل الاقتصادي :

لا يتأتى إدراك التكامل الاقتصادي بين عمان و بلاد الهند إلا باستحضار التكامل بين الخليج العربي وحوض البحر المتوسط والمحيط الهندي من جهة ، والتنوع الإنتاجي بين البلدين من جهة أخرى .

لقد ظل الخليج العربي طيلة العصور الوسطى حلقة وصل بين الشرق وحوض البحر المتوسط . كما بقي طيلة تلك الحقبة ممرا مائيا وشرينا أساسيا يربط المحيط الهندي بعالم شرق آسيا وجنوبها والبحر المتوسط وشرق إفريقيا .

ومن جهتها شكلت شبه القارة الهندية موقعا حيويا في تجارة المحيط الهندي ، خاصة أنها كانت تسد حاجة أوروبا من مادة كثر الطلب عليها ، وهي مادة التوابل لحفظ الأطعمة ، فكانت بلدان الخليج العربي - ومنها عمان - تقوم بدور الوساطة لنقل هذه المادة وغيرها نحو الموانئ المتوسطية عبر الخليج العربي والبحر الأحمر^{١١} ، مما جعل المحيط الهندي والخليج العربي يتكاملان في هذا الدور المتمثل في نقل البضائع التي تسد حاجة كل الأطراف لبعضها البعض .

أما التنوع الإنتاجي الذي شكل بدوره عاملا من عوامل الانجذاب العماني للهند فقد أسدى خدمة لحركة التواصل بين عمان وبلاد الهند لحاجة كل طرف لمنتجات الطرف الآخر ، ولا غرو فقد كان لثراء المنتجات النباتية والغابوية والصناعية والمنتجات المعدنية التي تزخر بها الهند ، مقابل افتقارها إلى العاج الإفريقي واللؤلؤ واللبنان والبخور والخيول العربية التي كانت تنتجها عمان^{١٢} أثر في توجه المنطقتين نحو بعضهما انطلاقا من قاعدة التكامل الاقتصادي .

ولا يعنينا في هذا المقام عرض لائحة تبادل البضائع والسلع ، بقدر ما يهمنا إعطاء القرائن على أن هجرة العمانيين نحو بلاد الهند واستقرار طائفة منهم وهي طائفة التجار على الخصوص لم تحدث بمحض الصدفة بقدر ما كانت خطوة تروم تحقيق التكامل الاقتصادي . فالهند بلد يلتقي فيه عالمان : عالم الشرق الأقصى وعالم الغرب ، ناهيك عما تزخر به أراضيه من ثروات معدنية ومنتجات متنوعة^{١٣} . ولا مشاحة في أن الذهب الذي شكل منذ فجر الإنسانية مركز جذب للهجرات البشرية أثار أيضا شهية التجار العمانيين الذين اندفعوا نحو بلاد الهند لحصد نصيبهم من هذا المعدن النفيس المتوافر بها ، وهو ما تؤكد المتون النصية التي وصفتها بأن ((في بحرها الدر

^{١١} عبد الرحمن العاني ، تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى ، ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية ، دار الحكمة ، لندن ١٩٩٩ (ط١) ، ص ١٧٢-١٧٣

^{١٢} البكري ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ، تج. عبد الله يوسف غنيم ، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٣٤-٣٥ - الحميري ، الروض المعطار ، تج. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٤ (ط٤) ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥

^{١٣} شوقي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٥١ ، الكويت ١٩٩٠ ، ص ١٩٢ .

وفي برّها الذهب ، وفي جبالها الياقوت والماس))^{١٤} . كما أشادت بكثرة الذهب في مدينة قنوج الهندية^{١٥} . ووصف المقدسي^{١٦} إقليم السند بأنه ((إقليم الذهب والتجارات)) . ويخيل إلينا أن ما نسب إلى بعض ملوك الهند من ثراء فاحش ، إنما كان بفضل وفرة هذا المعدن النفيس^{١٧} . ولعل هذا ما حدا ببعض الجغرافيين^{١٨} إلى تفسير اسم ((فرج الذهب)) الذي أطلق على مدينة الملتان بشبه القارة الهندية بكثرة كميات الذهب المتوافرة بها . ولا نعدم نصوصاً أخرى تدل على وفرة معدن الفضة ببلاد الهند ، حتى قيل إن أحد ملوكها كان يفرش بلاطه بالفضة^{١٩} ، رغم ما يفوح من النص من رائحة المبالغة ؛ ناهيك عن الحديد والفولاذ والنحاس وغيرها من المواد الأساسية لصناعة السيوف والسلع الصناعية الأخرى .

أما المنتجات الزراعية والغابوية مثل خشب الساج وشجر العود والكافور وجميع أنواع الطير والأفاويه والعنبر والقنا والخيزران والقرنفل وجوز الهند والدارزنجبي وغيرها^{٢٠} ، فكانت من الكثرة ما جعل المخيال العربي الوسيط يحتفظ بصورة لامعة حول بلاد الهند مفادها أن ((بحرهما در وجبلها ياقوت وشجرها عطر))^{٢١} . ولا نستبعد أيضاً أن يكون رخص أسعار المسلع الهندية وراء إقبال العمانيين على الهند ، فابن حوقل^{٢٢} يسرد أسماء عدد من المدن الهندية التي كانت تتميز برخص أسعارها كالمنصورة والملتان والسند وكيزكانان . بل بلغ رخص الأسعار في مدينة ويهند ما جعل المقدسي^{٢٣} يقول : ((وعن رخص الخبز والألبان فلا تسأل)) . ولا نتردد في ترجيح أن هذا الثراء المعدني ووفرة الإنتاج ورخص الأسعار ببلاد الهند ، ما جعل هذه الأخيرة قبلة لجميع الشعوب ، وضمنها الجالية العمانية التي تعيننا في هذا البحث ، مما تصدق معه مقولة أحد الباحثين التي عبر فيها عن هذه الحقيقة بقوله ((إن شبه القارة الهندية التي كان العرب يعرفون سعة أرجائها ، وثرواتها الطائلة كانت محط الأنظار وقبلة الأحلام))^{٢٤} .

٣- المقاربة الدينية- المذهبية والأمنية :

-
- ^{١٤} القلقشندي ، م، س، ج ٥ ، ص ٥٨ و ينقل روايته عن الجغرافي العمري - ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان ، ليدن بريل ١٩٦٧ ، ص ٢٣٠ - الإصطخري ، المسالك والممالك ، ليدن بريل ، ١٩٦٧ ، ص ٦٥ .
- ^{١٥} القلقشندي ، م، س، ج ٥ ، ص ٧٣ .
- ^{١٦} أحسن التقاسيم ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، نشر مكتبة مدبولي ، طبعة القاهرة ١٩٩١ (ط٣) ، ص ٤٧٤ .
- ^{١٧} القلقشندي ، م، س، ج ٥ ، ص ٧٦ ، ٨٥ - ٨٦ .
- ^{١٨} الإدريسي ، نزهة المشتاق ، منشورات المعهد الجامعي الشرقي بنابولي ، تج. مجموعة من الباحثين ، طبعة نابولي - روما (ط٢) (د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٧٧ - المقدسي ، م، س، ص ٤٨٣ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ .
- ^{١٩} ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تج ، إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٠ ، (ط١) ، ص ١٠٧ .
- ^{٢٠} أنظر التفاصيل عند المسعودي ، م، س، ص ١١٢ .
- ^{٢١} ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، سيدروم مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية ، الخطيب للتسويق والبرامج ، الأردن ، عمان ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- ^{٢٢} صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
- ^{٢٣} أحسن التقاسيم ، ص ٤٨٠ .
- ^{٢٤} أنظر: إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لجغرافية ابن سعيد ، م، س، ص ٣٠ . وانظر في نفس المعنى : عبد الرحمن العاني ، م، س ، ص ١٧٤ .

شكلت الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند ومشاركة العمانيين فيها محطة جديدة لمسار الصلات البشرية العمانية - الهندية القديمة ، واتخذت منحى جديدا ذا بعد سلمي يروم بناء علاقات روحية ، ويؤسس لمرحلة جديدة من التعاون والحوار الحضاري .

ولا يعني هذا الصدد معالجة أحداث الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند ومساهمة العمانيين فيها - قادة وجنودا - لأن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل ، بيد أننا سنركز على بعض الإشارات التاريخية التي تثبت أن الفتوحات الإسلامية جسدت مقارنة من المقاربات المفسرة لوجود جالية عمانية بالهند ، انطلاقا من مشاركة بعض الشخصيات العسكرية العمانية بشكل أو بآخر في مسار الفتوحات بالجبهة الهندية ، واختيار بعضهم الاستقرار بها بعد نهاية تلك الفتوحات .

ومن الإشارات الأساسية التي تحمل دلالات التواصل في هذا الصدد ، اعتبار عمان منطلقا للحملات الجهادية الموجهة نحو بلاد الهند منذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ، خاصة الحملة التي قادها عثمان بن أبي العاص في " تانه " الواقعة على الساحل الغربي لشبه القارة الهندية ، حيث أن عددا من المشاركين في هذه الحملة ينتمون لقبائل بني ناجية والأزد العمانيين ^{٢٥} .

وفي نفس المنحى ، تشير بعض المتن النصية إلى مشاركة شخصيات عمانية في فتوحات بلاد الهند ، نذكر من بينهم راشد بن عمرو الجديدي ، وهو من رجالات أزد عمان ، كان قد عينه والي العراق على ثغر الهند ، وتمكن من قيادة حركات جهادية موفقة هناك ^{٢٦} . وبعد ذلك تتردد في المصادر التاريخية أسماء شخصيات عمانية كان لها باع طويل في فتوحات الهند ، يأتي في مقدمتها القائد المهلب بن أبي صفرة ، وحاتم بن قبيصة بن المهلب و بديل بن طهقة البجلي ، وسوار بن عبد الله العبدوي ، وحبيب بن المهلب ، وعمرو بن مسلم الباهلي ^{٢٧} .

إن ما يهم الباحث من خلال الإبحار في سلسلة أسماء هؤلاء الأعلام ، يكمن في التقاط ما يبرز أهمية المقاربة الدينية التي تعكسها مساهمة العمانيين في فتح بلاد الهند ، وإعطاء القرائن على أن هذا العامل الجهادي- الديني شكل مقدمة للوجود العماني في تلك البلاد خلال العصر الإسلامي.

وبعد نهاية الفتوحات الإسلامية تجند العمانيون لحمل أمانة الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية في مختلف الأقطار ، مستندين في ذلك إلى المذهب الإباضي الذي تحرص تعاليمه على نشر الإسلام والدعوة الإباضية خارج عمان ، وترى أن ((من واجب الإباضية الدعوة خارج المصر إلى الدخول في دين الله)) ^{٢٨} .

^{٢٥} البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٤٢٠

AL- Humaidi s . s : Makran and Batuchistan from the Early Islamic Conquests down to the (٤٦ Mongol Envasion . (MS.)
A thesis Submitted to the victoria University of Manchester , for the degree of ph . D , the Faculty of Arts , dept .of Middle Eastern Studies , june ١٩٨٨ .p: ٣ .

^{٢٦} البلاذري ، م.س ، ص ٤٢٢ .

^{٢٧} نفسه ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ - خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، سيدبروم مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية ، الخطيب للتسويق والبرامج ، الأردن ، عمان ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

^{٢٨} مؤلف مجهول ، السير و الجوابات لعلماء وأئمة عمان ، تج. سيدة إسماعيل كاشف ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ١٩٨٦ ، ج ١ ، ص ١٣ - ١٤ .

ولما كانت بلاد الهند أقرب البلدان إلى عمان ، فمن البديهي أن تتجند طائفة من الأئمة والعلماء الأباضيين الذين رافقوا التجار وتقاوا في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بتلك الديار ، فحضور الدعاة والخطباء والوعاظ العمانيين بها كان ضرورياً وواجباً يقتضيه المذهب الأباضي ، وهو ما ينهض حجة على المقاربة المذهبية في تفسير وجود جالية عمانية بالهند

أما المقاربة الأمنية فتتجلى في كون الأمن الذي يعد من الشروط الأساسية لانتقال الجالية العمانية إلى بلاد الهند ، جعل الدولة العمانية تسعى بكل إمكانياتها إلى تأمين الطرق البحرية المؤدية إليها ، وقطع دابر القرصنة التي كانت تطل أحيانا السفن التجارية العمانية. لذلك عملت على تقوية الأسطول البحري في عهد الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦ - ٢٣٧ هـ / ٨٤٠ - ٨٥١ م) ، والصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ هـ - ٢٧٣ هـ / ٨٥١ - ٨٨٦) ، ووجيه بن يوسف الذي بلغ الأسطول في عهده تسعة وثمانون مركبا ، وهو إجراء كان الهدف منه تأمين السواحل والمسالك التجارية البحرية المؤدية إلى بلاد الهند ، حرصا على سلامة التجار والمسافرين^{٢٩} . ومن المعروف أن معظم الرحلات من عمان نحو الهند وإليها كان تتم عبر البحر لكون الطريق البحري أقل عرضة لحركة اللصوصية المهددة لسلامة التجار السالكين طريق البر ، فضلا عن أن مشكل الماء لم يكن مطروحا في الرحلات البحرية^{٣٠} ، ولذلك كانت المقاربة الأمنية تسير في اتجاه تشجيع السفر عبر الطرق البحرية لأنها أكثر أمانا ، وأقل تهديدا لسلامة المسافرين .

حصيلة القول أن كل هذه المقاربات التي وظفناها ، المادية منها والدينية والمذهبية والمكانية ، تسمح للباحث بتفسير وجود جالية عمانية ببلاد الهند وعوامل انجذابها إليها. فمتى بدأت هذه الجالية في الاستقرار بالمدن الهندية وكيف وصلت إليها ؟ وما هي وضعيتها وعلاقتها بالمجتمع الذي عايشته ؟ تلك جملة من الأسئلة التي نسعى للإجابة عنها في المحور الثاني من هذا البحث .

II - الجالية العمانية من الهجرة إلى الاستقرار والاندماج في المجتمع الهندي :

١ - مكونات الجالية العمانية ببلاد الهند :

لم تفصح المصادر بما فيه الكفاية عن مكونات الجالية العمانية المتواجدة بالهند خلال الفترة مدار البحث ، فالمسعودي الذي زار مدينة صيمور الهندية سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، أورد خبر مشاهدته للجالية العمانية في هذه المدينة في سياق روايته حول الجاليات الإسلامية بشكل عام ، دون تحديد لفئاتها وأطيافها التي كانت تتشكل منها ، لكنه لمح في إشارة مهمة رغم أنها عابرة ومقتضبة ما يسمح بالاستنتاج أن فئة التجار العمانيين كانت الأكثر تمثيلا لهذه الجالية ، وهو ما يفهم من قوله : ((وفيهم خلق من وجوه التجار))^{٣١} ، على الرغم من أن هذا القول يشمل كل الجاليات الإسلامية موضوع الرواية . ويتأكد هذا الاستنتاج من خلال ما ذكره في موضع آخر بأنه كان يستقي

^{٢٩} سرحان بن سعيد الأزكوي ، كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، مطابع سجل العرب ، مسقط ١٩٨٦ (ط ٢) ، ص ٤٣ - ٤٤ .

^{٣٠} عبد الرحمن العاني ، م.س ، ص ١٧٢ .

^{٣١} مروج الذهب ، م.س ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

معلوماته عن عادات الهنود من التجار السرافيين و العمانيين^{٣٢} ، مما يعني أنهم كانوا الفئة الأكثر حضوراً في الجالية العمانية . ويمكن أن نجتهد - مع الاحتياط من الوقوع في فخّ التعميم - أن بعض هؤلاء التجار العمانيين كانوا يتوفرون على رؤوس أموال ضخمة . ولعلّ ما يدفع إلى تأكيد هذه الفرضية ما ذكره الإدريسي^{٣٣} عن تجار ظفار الذين عرفوا بصلاتهم التجارية القوية مع بلاد الهند بأن لهم ((فضول أموال وبضائع)) ، وهو قول يستشف منه توافرهم على فائض رأسمالي نرجح أنهم كانوا يوظفونه في التجارة مع الخارج ، خاصة مع الهند وشرق إفريقيا . ومن خلال الإشارات المتفرقة والمشتتة في ثنايا المصادر ، يمكن أن نضيف إلى فئة التجار التي شكلت الفئة المهيمنة في تشكيلة الجالية العمانية ببلاد الهند عائلات بعض القادة العسكريين مثل المهالبة وبنو منبه الذين يرجع الفضل إلى بعض زعمائهم في فتح الملتان^{٣٤} ، قبل أن يستقر بعضهم في ثغور الهند لمواصلة الفتوحات ونشر الإسلام في تلك الربوع .

يضاف إلى ذلك فئة العلماء والخطباء والدعاة والصلحاء الذين رافقوا الحملات الجهادية أو جاءوا في أعقابها ، ثم استقروا في تلك الديار وساهموا في الدعوة للإسلام ، ناهيك عن بعض القضاة الذين التحقوا بأفواج الفاتحين لإدارة الممالك الهندية المفتوحة . وقد التقى الرحالة المغربي ابن بطوطة بعدد منهم ، ولو في فترة متأخرة عن المرحلة مدار الدراسة .

ويمكن أن نلحق بهذه الفئات المكونة للجالية العمانية بالهند فئة البياسرة الذين هم نتاج زواج الجاليات الإسلامية القاطنة بالهند وضمنهم العمانيون بنساء هنديات ، وهي الفئة التي شاهدها المسعودي أثناء زيارته لمدينة صيمور الهندية^{٣٥} .

وتأسيساً على هذه المعطيات القليلة الواردة في المصادر ، يمكن أن نستنتج أن الجالية العمانية ببلاد الهند تشكلت من فئة التجار الذين استقروا بها ، ومن الجنود وقادتهم الذين شاركوا في فتح تلك البلاد واستوطنوها مع عائلاتهم ، فضلاً عن العلماء و الخطباء و الدعاة والأبناء " البياسرة " الذين كانوا ثمرة الزواج المختلط بين العمانيين وزوجاتهم الهنديات .

٢- بداية استيطان بعض العائلات العمانية في بلاد الهند :

بدأت الخيوط الأولى لظهور الجالية العمانية ببلاد الهند خلال العصر الإسلامي مع استيطان بعض العائلات العمانية بها . وتكشف النصوص أن عائلة بني علاف التي تنسب إلى أزد عمان تعد من أوائل تلك العائلات التي وطأت أرض الهند حوالي سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤م في سياق محاولة قامت بها للاستقلال عن الحكم الأموي . بيد أن معلوماتنا عن هذه العائلة العمانية يكتنفها التعتيم والغموض بسبب شح المصادر . وكل ما لدينا لا يتعدى إشارات باهتة تفيد أنها نجحت في الاستقلال عن الحكم الأموي تحت قيادة معاوية ومحمد ابني الحارث العلافيين ،

^{٣٢} نفسه ، ص ١٥١ ، ١٧٢ .

^{٣٣} نزهة المشتاق ، م.س ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

^{٣٤} الأعلام النفيسة ، ليدن بريل ١٨٩١ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

^{٣٥} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

وسيطرت على أحد ثغور الهند مدة ١٣ سنة قبل أن يجهض عليها الحجاج بن يوسف الثقفي الذي بعث إلى قادتها حملة عسكرية تحت إمرة مجاعة بن سعد التميمي ثم محمد بن هارون النميري . وقد تمكن هذا الأخير من استئصالها والقضاء عليها قضاء مبرما سنة ٦٧٨هـ/ ٦٩٧ م^{٣٦} .

و على غرار هذه الأسرة العمانية التي أثبتت وجودها بأحد ثغور الهند مدة ثلاثة عشر سنة ، برزت أيضا عائلة المهالبة . ويبدو أن أقدامها بدأت تطأ هذه البلاد منذ سنة ٩٦هـ / ٧١٤ م عندما أرسل الأمويون حبيب بن المهلب بن أبي صفرة كقائد ومسئول عن ولاية ثغر من الثغور الهندية ، ولو أن ولايته لم تتجاوز سنتين^{٣٧} . ويستشف من فحوى المرويات التاريخية أن هذه العائلة شهدت مأساة أبناء المهلب بن أبي صفرة العتكي على إثر الأزمة التي عصفت بالعلاقة القائمة بين يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والي العراق للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ، ويزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان ، إذ فرّ الناجون من أبناء المهلب ضحايا هذه العلاقة المتوترة ، وركبوا البحر إلى قنابيل وفق خطة دبرها أحد أفراد الأسرة المهلبية مع وادع بن حميد الأزدي . غير أن هذا الأخير خانهم ، فوقع أفراد هذه الأسرة في فخ مذبحة رهيبة طالت حتى النساء والأطفال منهم . لكن هذه المأساة لم تسجل نهاية أسرة آل المهلب ببلاد الهند ، إذ نجد النصوص تشير إلى تعيين قادة مهالبة آخرين على ثغر الهند نظرا لتجربتهم وخبرتهم في النشاط البحري ومجاورتهم للهند ، خاصة إبان العصر العباسي^{٣٨} .

ولا نستبعد استنادا إلى بعض المأثورات الشعبية أن تكون عائلات عمانية أخرى قد استوطنت بلاد الهند مع مطلع الفتوحات الإسلامية ، ولو أن صمت النصوص المكتوبة التي بين أيدينا لا تسمح بتوثيق تواريخ استقرارها بالديار الهندية .

٣- ظرفية الهجرة والانتقال من عمان نحو بلاد الهند :

إذا كان انتقال العائلات العسكرية العمانية والجنود نحو بلاد الهند يتم بأمر أو بتعيين من الخلافة الإسلامية أو نتيجة هجرة قسرية كما وقع لعائلة بني علاف ، فإن هجرة التجار العمانيين وغيرهم من العلماء والدعاة كانت تتم برغبة فردية وبمناى عن الدولة أو أي مؤسسة رسمية في الغالب الأعم ، خاصة أن بلاد الهند نفسها لم تكن مؤهلة للقيام بعقد اتفاقيات مع الحكومة العمانية بسبب عدم وجود سلطة سياسية موحدة بها. لذلك يمكن أن نفترض مع أحد الباحثين^{٣٩} أن الازدهار الاقتصادي الذي حققه العمانيون على مستوى الإنتاج الحرفي كان لوحده حافزا دفع بعض الأسر العمانية إلى تشجيع أبنائها على الانخراط في الأعمال التجارية والملاحية ، والسفر بالسلع المصنعة ، خاصة اللؤلؤ والبخور واللبان أو السلع الحيوانية كالخيول لتسويقها في بلاد الهند التي هي أقرب منطقة تعبرها سفن المحيط الهندي ، فكيف كانت تتم رحلة هؤلاء التجار والمسافرين معهم من أفراد الجالية العمانية نحو الهند ؟

^{٣٦} عمان في التاريخ ، منشورات وزارة الإعلام ، سلطنة عمان - دار اميل للنشر المحدودة ، لندن ١٩٩٥ ، ص ١٤٩ .

^{٣٧} البلاذري ، م.س ، ص ٤٢٨ .

^{٣٨} أنظر التفاصيل في عمان في التاريخ...م.س ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

^{٣٩} رجب عبد الحليم ، م.س ، ص ٤١ .

من المعلوم أن الرحلة والتنقل من عمان إلى بلاد الهند كان يتم عبر المسارين البري والبحري . فالطريق البري كان يبدأ من السند ثم خراسان^{٤٠} أو يسير بموازاة مع للساحل الشرقي للخليج العربي عبر السند ليصل إلى كرمان ففارس والأهواز ليصل إلى المدن العراقية^{٤١} ، ثم يواصل السير إلى عمان . لكن هذا الطريق لم يكن كثير الاستعمال لطوله ولأخطاره البشرية والطبيعية ، خاصة حركة قطع الطرق وشدة الحرارة وقلة المياه ، لذلك فإن معظم الرحلات بين المنطقتين كانت تتم بواسطة النقل البحري لقرب المسافة الفاصلة بينهما .

وعلى غرار كل شعوب عالم العصور الوسطى ، ارتبط سفر العمانيين وانتقالهم نحو بلاد الهند بحرا بالظروف المناخية ، خاصة الرياح الموسمية التي لعبت دورا موحها في حركة السفر وتحديد موعد الإقلاع . ولاغرو فقد كان تغير اتجاه الرياح يتم في فترتين : ففي الفترة المتراوحة بين شهري نوفمبر ومارس كان اتجاهها يسير عادة من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، بينما كان اتجاهها يتغير في المدة الواقعة بين شهري أبريل وأكتوبر من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي . وبناء على اتجاه حركة الرياح ، كان بداية هبوبها نحو الوجهة المقصودة هو الذي يحدد موعد إقلاع السفن في اتجاه بلاد الهند .

وعند العودة كان على التجار العمانيين انتظار موعد الرياح الموسمية أيضا . وإذا لم تكن السفن قد تجهزت بكل حمولتها من البضائع ، فإنها تضطر لانتظار الرياح الموسمية التي تليها فتطول إقامتها ، وتتحول من إقامة عابرة إلى إقامة طويلة ، لذلك أقيمت أماكن للتجار الذين يفضلون البقاء في الهند لفترة مؤقتة أو يتركون وكلاءهم هناك في إقامة دائمة^{٤٢} . والراجح أن عددا منهم فضل الإقامة الدائمة كما حدث في مدينة صيمور التي تواجد بها عدد من العمانيين الذين تأهلوا هناك وخلفوا الأعقاب^{٤٣} .

و يبدو أن موسم الرحلات البحرية بالنسبة للسفن الزاهبة من الخليج العربي نحو الهند ، كانت أقصر من الرحلات المغادرة لساحل مليبار الهندي نحو عمان^{٤٤} .

وتفصح المصادر عن جملة من الموانئ التي كان يتم فيها تجمع التجار العمانيين وغيرهم من المسافرين القاصدين بلاد الهند ، إذ ينذر أن نجد ذكرا لهذه الموانئ دون إيراد خبر وصول سفن قادمة من الهند أو متجهة إليها . ونكتفي في هذا الصدد بذكر أهم الموانئ العمانية التي شكلت محطات للمسافرين كمسقط^{٤٥} و صحر^{٤٦} وظفار^{٤٧} وقلهات التي كان ميناؤها في استقبال دائم للسفن الزاهبة أو العائدة من بلاد الهند^{٤٨} .

^{٤٠} Warminghamton, The Commerce between The Roman Empire and India, Cambridge, ١٩٢٨

اقتباسا من : عبد الرحمن العاني ، م.س ، ص ١٧٢

^{٤١} عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٨ (ط ١) ، ص ١٧٢ .

^{٤٢} المعلومات الخاصة بالرحلات التجارية في المحيط الهندي مقتبسة من كتاب عثمان شوقي الذي عالج تلك الرحلات بصفة عامة . وقد تبين لنا أنها تنطبق أيضا على رحلة التجار العمانيين لأنها تتم في نفس البيئة الجغرافية . أنظر كتابه : تجارة المحيط...م.س ، ص ٤٥ .

^{٤٣} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

^{٤٤} شوقي عثمان ، م.س ، ص ٩٢ - ٩٣ .

^{٤٥} ابن الفقيه م ، س ، ص ١١ - ١٢ - البكري ، م.س ، ص ٣٥ .

^{٤٦} المقدسي ، م.س ، ص ٩٢ - القلقشندي ، م.س ، ج ٥ ، ص ٥٣ .

^{٤٧} ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، تج. ، ص ٢٧٦ - ماركوبولو ، رحلة ماركوبولو ، تر. عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣٤٠ .

^{٤٨} نفسه ، ص ٢٨٤ .

أما نوعية السفن المخصصة للنقل ، فمعلوماتنا عنها تتسم بالشح والتقتير باستثناء إشارتين وردتا عند كل من المسعودي وابن بطوطة . فالمسعودي^{٤٩} يورد خبر السفينة العمانية التي تقل على متنها التجار والمسافرين تحت اسم " التيرماهيه " . ويفهم من سياق خبره أن هذه السفينة تتميز بقدرتها على مقاومة الظروف المناخية الصعبة ، خاصة عند وصولها إلى بلاد الهند التي يكون قد حلّ بها فصل الشتاء وموسم الأمطار في الوقت الذي يكون الطقس في عمان مخالفا لذلك . أما ابن بطوطة^{٥٠} فيرد عنده ذكر اسم سفينة تدعى " الصنبوق " . وقد أورد ذكر هذا النوع من السفن في سياق روايته عن مراكب وصلت من الهند إلى ظفار ، وهي عبارة عن مركب يبلغ معدل طوله من ٢٥ إلى ٤٠ قدما ، و تبلغ أقصى حمولته ١٨٠ طنا . ويرجح أن يكون هذا المركب من فئات السفن الصغيرة أو المتوسطة التي كانت تذهب مجيئا وإيابا بين الهند وظفار ، عكس السفن العملاقة التي كانت تسافر إلى الصين نظرا لطول المسافة^{٥١} .

و يضيف أحد الباحثين^{٥٢} أن أكثر السفن العمانية شهرة و استعمالا هي البدن والعويسة . بيد أن هذا النوع من السفن كان يقتصر على مزاوله حرفة الصيد أو النقل الداخلي المحاذي للساحل ، ولم نجد في المصادر التي وظفناها ما يشير إلى هذه المراكب كوسائل للنقل بين عمان والهند .

في نفس المنحى ، تكشف كتب الرحلات عن ملكية بعض التجار العمانيين لمراكب خاصة ، وحسبنا أن " برزك " صاحب كتاب " عجائب الهند " أورد أسماء بعض النواخذة العمانيين الذين كان لهم مراكب خاصة يسافرون بها نحو شرق إفريقيا أو بلاد الهند من أمثال جعفر بن راشد ومحمد العماني وإسماعيل بن إبراهيم بن مرداس وغيرهم^{٥٣} .

أما بخصوص سلامة المسافرين على متن هذه السفن ، فلا شك أن كل الاحتياطات اللازمة كانت واردة في الحساب ، وفي مقدمتها ضرورة توفر ربانة السفن على مهارة عالية في القيادة . ويستشف من تصفح النصوص أن هؤلاء كانوا يمتلكون حصادا كبيرا من الخبرة والتجربة ومعرفة أوقات الرياح نظريا و تطبيقيا ، وهو ما يفهم من قول المسعودي^{٥٤} ، ((ولكل من يركب هذه البحار - في إشارة إلى المحيط الهندي - من الناس يعرفونها في أوقات تكون منها مهابها ، قد علم بذلك بالعادات و طول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا)) . ومن بين التجارب المكتسبة التي تطلعنا عليها النصوص ، ما كان يضعه الربانة من علامات في مياه الخليج العربي لإرشاد السفن المتجهة نحو عمان^{٥٥} ، و يتضح عمق هذه التجارب وعلو كعب النواخذة^{٥٦} العمانيين في مجال البحر وقيادة السفن من خلال الحكايات التي أوردتها حولهم كتب الرحلات والتراث العربي^{٥٧} .

^{٤٩} مروج الذهب ، م.س ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

^{٥٠} رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٧٦ .

^{٥١} عن هذا النوع من السفن الكبيرة المتجهة نحو الصين ، انظر : عبد الرحمن العاني ، م.س ، ص ١٨٧ .

^{٥٢} شوقي عثمان ، م.س ، ص ١٣٩ .

^{٥٣} عجائب الهند ، ص ٩٠ ، ١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٧٣ - ١٧٤ - المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ٩٩ ، ١٠٦ - ١٠٧ - عبد الرحمن عبد الكريم العاني ، دور العمانيين في الملاحة و التجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري ، منشورات وزارة التراث القومي و الثقافة ، مسقط ١٩٨١ ، ص ١٧ .

^{٥٤} مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١١٢ .

^{٥٥} نفسه ، ص ١٤٩ .

إلى جانب ضرورة توافر التجربة والخبرة لدى ربان السفن ، اتخذت إجراءات تروم سلامة المراكب المقلدة للتجار والمسافرين القاصدين بلاد الهند . يقول المسعودي في هذا الصدد : ((وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند في انتهائه إلا مركب مغرز وحمولته يسيرة ، وتسمى هذه المراكب بعمان إذا قطعت أرض الهند في هذا الوقت التيرماهيه)) .

يستنتج من هذا النص أن السفر من عمان إلى الهند كان يتطلب على الأقل شرطين ضروريين لسلامة الركاب : أولهما أن تكون السفينة مغرزة أي مخاطة بالحبال بدلا من المسامير لشدة مقاومتها عند اصطدامها بالأمواج العاتية ، و ثانيهما أن لا تكون حمولتها ثقيلة حتى لا تطغى على الحد المسموح به في الوزن فيكون مصيرها الغرق .

و لا نستبعد - رغم سكوت المصادر - أن تكون جملة من الإجراءات الاحترازية قد اتخذت لضمان وصول التجار بسلام نحو السواحل الهندية ، من ذلك من هو متداول ومعروف في عالم البحار خلال العصور الوسطى كأن يتقيد ربان السفن باستعمال الأسطرلاب لاستخراج البرج الذي تكون فيه الشمس ، وموعد مغيب الشمس وطلوع الفجر ومعرفة أوقات الليل والنهار ، والتوفر على آلة الكمال التي تحدد زاوية الارتفاع ، والإبرة المغناطيسية التي تحدد عمق البحر^{٥٨} ، فضلا عن الوصايا التي كان يوصى بها ملاحو تلك الحقبة لضمان سلامة الركاب ، من قبيل تعاليم ابن ماجد الذي كان يلزم قائد السفينة أن تكون له خريطة للطريق البحرية ، والآلات اللازمة لتحديد ارتفاع النجوم ، وفانوس لإعطاء الإشارات ، وضرورة تفقد ربان السفينة حالة الركاب النفسية والبدنية^{٥٩} ، وغير ذلك مما هو متوافر في المرشدات البحرية^{٦٠} .

أما وقت الإقلاع فكان الربان يفضلون - بعد بداية هبوب الرياح الموسمية - الإبحار ليلا تجنباً للحرارة المفرطة في منطقة الاستواء^{٦١} .

ورغم كل هذه الاحتياطات ، فقد كان المسافرون القاصدون بلاد الهند عرضة لبعض الأخطار البشرية والمناخية من قبيل العواصف والرياح العاتية والدوامات والحيوانات البحرية . وقد لخص المسعودي الأخطار المناخية الناجمة عن هبوب الرياح بشدة مع هيجان البحر وارتطام أمواجه وما تتعرض له السفينة نتيجة لذلك من أخطار^{٦٢} ، و لعل

^{٥٨} مفردها ناخوذة وهو المتصرف في السفينة المتولي لأمرها سواء كان مالكا لها أو أجيرا على النظر فيها وتسييرها . انظر : الزبيدي ، تاج العروس ، دار للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٦٦ ، ج ١ ، ص ٥٨١ .

^{٥٩} عجائب الهند ، ص ٦٨ - ٦٩ - الجاحظ ، الحيوان ، تح. عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابلي وأولاده ، مصر ١٩٣٨ (ط ١) ، ج ٣ ص ٣١٣ ، وفيها يحكي قصة تصف أزد عمان بأنهم كانوا بحارة مهرة. ويورد المسعودي بيتا لأحد الشعراء يدل كذلك على تمرس العمانيين بالملاحة :

إذا أزدية ولدت غلاما *** فيشرها بملاح مجيد .

انظر : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٨٨

^{٥٨} أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٣ ، يناير سنة ١٩٧٩ ، ص ١٤١ وما بعدها .

^{٥٩} ابن ماجد ، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد والأراجيز والقصائد ، اقتباسا من : شوقي عثمان ، م.س ، ص ٩٧ .

^{٦٠} ابن ماجد ، ثلاثة أزهار في معرفة البحار ، اقتباسا من : شوقي عثمان ، م.س ، ص ١٠١ .

^{٦١} شوقي عثمان ، م.س ، ص ١٠١ .

^{٦٢} مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

هذا ما حدا بالملاح الشهير ابن ماجد بتوجيه النصح لقائد السفينة و ركاها بقوله : ((اعتبر نفسك ضيفا من ضيوف الرحمن والزم الطهارة))^{٦٣} .

أما الأخطار البشرية التي كانت تهدد سلامة النقل والتجار العمانيين فتجسدت في القرصنة البحرية التي كان يمارسها بعض الهنود الخارجين عن القانون في السواحل العمانية نفسها ، قبل أن يتخذ سلاطين عمان الإجراءات الردعية لقطع دابرهم^{٦٤} . علما أن قرصنة أخرى كانت تهددهم أيضا عند اقترابهم من سواحل الهند أو الجزر القريبة منها^{٦٥} .

٤- أماكن استقرار الجالية العمانية :

تلقي النصوص المتاحة الأضواء حول بعض المدن الهندية التي استوطنتها الجالية العمانية ، خاصة في الساحل الهندي الغربي والمراكز التجارية القريبة منه ، وهي التي شكلت مقصدا لمعظم العمانيين الوافدين على بلاد الهند بسبب الجوار الجغرافي^{٦٦} .

ففي مدينة صيمور Chauel ، شاهد المسعودي بالعيان سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م طائفة من العمانيين الذين استوطنوا هذه المدينة وتزوجوا هناك وأنجبوا الأولاد . ويفهم من روايته أن نسبة كبيرة من هؤلاء العمانيين كانوا من فئة التجار الذين اندمجوا مع الأهالي الهنود ، واستأنسوا بعاداتهم التي لا تتنافى مع الإسلام ، وفضلوا الإقامة معهم ومصاهرتهم . ويبدو أنهم كانوا - بحكم طول إقامتهم - مطلعين عن كثر على ثقافة هذه المدينة وبيئتها بدليل أن المسعودي استفسر بعضهم حول بعض الأمور ، فأجابوه بمنطق العارف الخبير^{٦٧} .

وشكلت مدينة الديبل منطقة استقرار للجالية العمانية أيضا ، إذ كانت تتوفر على ميناء استراتيجي في شبه القارة الهندية يقصده العديد من تجار عمان ، بالإضافة إلى العرب الآخرين الذين كونوا جاليات مسلمة متعددة الأعراق والأجناس ، وكان يتم فيها التخاطب بلغة عبارة عن خليط من العربية والسندية^{٦٨} .

ومن الراجح أن مدينة المنصورة استقطبت أيضا عددا من أفراد الجالية العمانية ، ففضلا عما سبق ذكره عن أسرتي العلافيين والمهالبة اللتان استقرتا بها ، يذكر ابن الماور^{٦٩} أن ((جميع سكانها حضارم انتقلوا من حضرموت وسكنوا بها)) ، علما أن الحضارمة يشتركون في النسب مع قبائل الأزد الوافدة من اليمن والمستقرة في عمان . كما وفد على هذه المدينة ثلة من أعلام العمانيين ممن كان لهم باع طويل في مجال التجارة أو العلم من أمثال الفضل بن جندب ، وأبي الحر علي بن الحصين العنبري ، وأبي عبد الله بن القاسم الذين انتقلوا منها إلى مكة ، بينما رحل الأخير إلى الصين في رحلته المشهورة^{٧٠} .

^{٦٣} ابن ماجد ، الفوائد...م.س ، اقتباسا من : شوقي عثمان ، م.س ، ص ١٠٧ .

^{٦٤} سرحان بن سعيد الأزكوي ، م.س ، ص ٤٣ - ٤٤ .

^{٦٥} ابن بطوطة ، م.س ، ص ٦١٢ .

^{٦٦} حول هذه المدن والمسافات الفاصلة بينها ، يراجع : المقدسي ، م.س ، ص ٤٨٢ .

^{٦٧} من الأمور التي سألهم المسعودي عن مدى صحتها ، ادعاء الجاحظ أن حيوان الكركدن يبقى في بطن أمه سبع سنين ، فأكد له التجار العمانيون عكس ذلك ، و أن هذا الحيوان مثله مثل البقر و الجواميس ، أنظر : مروج الذهب ، م.س ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

^{٦٨} ابن حوقل ، م.س ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ - المقدسي ، م.س ، ص ٤٧٩ .

^{٦٩} صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، نشرها أوسكر لوفرفين ، منشورات المدينة ١٩٨٦ ، ص ٢٦٥ .

^{٧٠} السالمي ، اللعة المرضية من أشعة الأباضية ، مسقط ، وزارة التراث القومي والثقافة (ط ٣) ، ١٩٨٣ ، ص ١٢ .

وحسب شهادة ابن بطوطة ^{٧١} - ولو أنها متأخرة - لا نستبعد أن تكون مجموعة من أفراد الجالية العمانية مع غيرها من الجاليات الإسلامية قد استقرت في ضواحي مدينة منجور Mangalore التي كان حاكمها آنذاك هندوسيا ، لذلك تمتعت هذه الجالية بحياتها الخاصة المستقلة حيث كان لها حكامها و قضاتها ؛ وحسبنا أن قاضيها إبان زيارة الرحالة المغربي لها كان يدعى بدر الدين المعبري ، وهو اسم ذهب اجتهد أحد الباحثين ^{٧٢} إلى القول أنه تحريف لاسم العبري نسبة لإحدى المدن المشهورة وهي مدينة عبري ، ولو أن هذا الاجتهاد يستلزم بعض التحفظ ^{٧٣} .

وامتدت الجالية العمانية إلى ميناء صندابور على ساحل مليبار. وقد كان هذا الميناء خاصا بمدينتين : إحداهما قديمة يسكنها الهنود ، والثانية حديثة عمرها المسلمون واستوطنوها . ومن عمائرهم المهمة مسجد بناه تاجر ثري يدعى الناخوذة حسن ، يرجح بعض الباحثين أنه أحد الملاحين العمانيين ^{٧٤} .

ويبدو أن ساحل مليبار (كارلا حاليا) بفضل تعدد موانئه وقربه من عمان كان منطقة جذب للعمانيين الذين آثروا الاستقرار فيه لرواج الحركة التجارية به ، بل ساهموا في تعميره ببناء محطات للاستراحة ، سرعان ما تطورت إلى أماكن صالحة للسكن والإقامة ، فشيّدوا فيها المنازل والدور الفخمة التي شاهدها ابن بطوطة بأمر عينه ، وأعجب بمساجدها كما سنفصل ذلك عند ذكر التأثيرات العمرانية .

ومن المراكز التجارية التي استوطنها العمانيون مع الجاليات الإسلامية الأخرى ، نذكر ميناء تانه وفندريا وجرفتين حيث تم شحن هذه المراكز بالمؤن ، واتخذ فيها التجار المخازن حتى أصبحت مراكز تجارية كبرى . وكان بميناء فندريا ثلاث محلات للمسلمين ، ويحتمل أن يكون مصطلح " المحلة " يرمز إلى حي خاص بسكنى تلك الجالية التي لا نستبعد أن يكون ضمنها أفراد من الجالية العمانية ^{٧٥} .

ولا نتردد في الترجيح أيضا أن تكون طائفة من العمانيين قد استقرت في مدينة جناني الواقعة في منتصف الطريق بين رهري وسهوان ، حيث أقامت مع طائفة عربية سماها ابن بطوطة ^{٧٦} " بالسامرة " ، وهم من ذرية محمد بن القاسم الثقفي فاتح الثغور الهندية ، دليلنا على ذلك أن طائفة من تلك الجيوش التي قادها القائد المسلم المذكور كانت تضم عددا من الأزد العمانيين .

و رغم أن نص الحميري ^{٧٧} لا يتحدث بصراحة عن إقامة العمانيين في مدينة الملتان حيث أورد خبر وجود جالية إسلامية بها بصيغة التعميم ، فمن الراجح أن يكون العمانيون وخاصة التجار منهم ، وبعض بقايا الجنود المشاركين في فتوحات الثغور الهندية ضمن تلك الجاليات الإسلامية .

^{٧١} رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٦٩ .

^{٧٢} رجب عبد الحليم ، م. س، ص ٧٣ .

^{٧٣} يبدو أن هذا الباحث تسرع في حكمه ، ذلك أن المعبري اسم ينسب إلى بلاد المعبر الموجودة في الهند على ساحل كروماندال ، وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته ص ٦٠٥ . ويبدو أن التفسير المقبول هو أنه سمي بالمعبري لولادته فيها أو لإطالته الإقامة بها ، كما أن ابن بطوطة يذكر أنه شافعي المذهب وليس أباضيا على غرار العلماء العمانيين ، أنظر الرحلة ص ٥٦٩ .

^{٧٤} رجب عبد الحليم ، م. س، ص ٧٢ .

^{٧٥} ابن بطوطة ، م. س، ص ٥٧١ .

^{٧٦} نفسه ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .

^{٧٧} الروض المعطار ، ص ٥٤٦ .

هذا عن أماكن انتشار الجاليات العمانية في بعض المدن والمناطق الهندية فماذا عن وضعيتها ؟

٥- أوضاع الجالية العمانية ببلاد الهند:

كم كان عدد أفراد الجالية العمانية ببلاد الهند خلال الفترة مدار البحث ؟ سؤال تصطدم الإجابة عنه بغياب الإحصائيات في المصادر العربية ، وبندرة الأرقام التي قد تلقي الأضواء على المسألة الديموغرافية لو توفرت ، وهي معضلة تنطبق على معظم مراحل التاريخ الإسلامي.

ولحسن الحظ أن هناك إحصائيتان وردتا عند المسعودي وابن بطوطة ، وإن كانتا تتسمان بالعمومية وعدم الدقة لكونهما أدمجتا عدد الجالية العمانية ضمن العدد العام للجاليات الإسلامية الموجودة في المناطق الهندية التي شملها الإحصاء . كما أن الرقمين المقدمين لا يشملان كل المدن الهندية ، بل يقتصران على مدينتين فحسب. فالمسعودي^{٧٨} يحدد المسلمين القاطنين في مدينة صيمور بعشرة آلاف ، ويذكر ضمنهم الجالية العمانية . لكن يبدو حسب الترتيب الذي قدمه أنها كانت تأتي بعد البياسرة والسرافيين كأكبر جالية ، يليها بعد ذلك البصريون ثم البغداديون . وتبدو هذه الفرضية أقرب إلى الصحة إذا كان المسعودي اتخذ فعلا العدد الأكبر للجاليات الإسلامية وحضورها القوي في نسيج المدينة معيارا للترتيب الذي قدمه ، وهو استنتاج قد يكون صائبا لأن المسعودي غالبا ما كان يستشهد في بعض المواضع الأخرى بالسرافيين والعمانيين دون غيرهم من الأجناس الأخرى كإحياء لكثرة عدد من يسميهم ، مما يعطي لهذا الاجتهاد حظه من الصواب ، ويجعل الانطباع صحيحا حول كبر نسبة عدد العمانيين من العشرة آلاف التي يقدمها المسعودي كإحصاء عام للجالية الإسلامية المتواجدة بمدينة صيمور الهندية، لكننا قد نغامر إذا اجتهدنا في الإدلاء بإحصاء دقيق بخصوص الجالية العمانية القاطنة فيها .

من جهته ، يزودنا ابن بطوطة^{٧٩} الذي زار الهند حوالي سنة ٧٣٤هـ/١٣٤٢ م ، برقم حول عدد الجالية الإسلامية في مدينة منجور Mangalore بصيغة الجمع وهو أربعة آلاف مسلم ، دون تحديد لعدد أفراد الجالية العمانية بمفردها ، وإن كان من المنطقي أن نتصور أن عددها كان مرتفعا نظرا للقرب الجغرافي بين عمان وبلاد الهند ، وتوفر إمكانيات الرحلة والتواصل . بيد أن هذا الإحصاء لا ينسحب على المرحلة موضوع الدراسة ، و يبقى ذا قيمة بالنسبة لعصر ابن بطوطة فحسب ، دون أن ينفي استمرارية الظاهرة التي يفرضها المنطق التاريخي . وعلى العموم ، فإن النصوص الرقمية المتاحة لا تشفي غليل الباحث ، أو تجعله يصل إلى مستوى الدقة الذي يطمح إليه .

أما عن أوضاع الجالية العمانية واندماجها مع المجتمع الهندي ، فيستشف بحكم اعتناقها للمذهب الأباضي أنها كانت تتمتع بمستوى عال من الأخلاق و السلوكات الحسنة ، خاصة أن هذا المذهب يحث على السلم والتعامل المثالي . وكان التجار والعلماء و الدعاة العمانيون أفضل سفراء الفكر الأباضي خارج بلادهم ، لذلك وجد الأهالي الهنود في العمانيين الذين أقاموا بين ظهرائهم " مواطنين " من طراز أخلاقي رفيع ، يختلف عما ألفوه من رجال

^{٧٨} مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

^{٧٩} رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٦٩ .

الدين البراهمة الذين حكموهم بالحديد والنار^{٨٠} ، وهو ما يفسر ترحابهم الكبير بهؤلاء الوافدين الأباضيين ، وتعاملهم معهم كمواطنين يستحقون كل التقدير والاحترام .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الانطباع الإيجابي الذي سجله الرحالة والجغرافيون حول محبة بعض ملوك الهند للعرب ، أمكن تطبيق هذه المقولة على الجالية العمانية التي كانت من أكثر الفئات النشيطة على المستوى التجاري والعلمي ، خاصة في مملكة البلهرا^{٨١} التي حكم ملوكها حقبا طويلة ، وكانوا يعتقدون ((إنما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المسلمين))^{٨٢} .

وفي مدينة قاليقوت ، فتح حاكمها الباب على مصراعيه للتجار العرب والفرس وضمنهم العمانيون ، وحسبنا أن السفن العمانية لم تنقطع عن بلاده ، مما زاد في ثرائها ورواجها التجاري^{٨٣} . نفس القول ينسحب أيضا على "كوبل" حاكم سلطنة جرفتة الواقعة على ساحل المليبار ، إذ كانت السفن العمانية تقصده ذهابا ومجيئا بفضل تشجيعه للتجار ، وكان هؤلاء الملوك الهنود اقتنعوا بمقولة ((من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان))^{٨٤} . كما ترك الحكام الهنود للحرفيين العمانيين حرية التصرف ، فحسب ما ورد في نص للسيرافي^{٨٥} ، فإن بعض العمانيين كانوا يقصدون الجزر الهندية المشهورة بخشب النارجيل ، ويحملون معهم آلات النجارة ، ويشغلون في أوراشهم ويصنعون بها مراكب يستغلونها في رحلاتهم أو يبيعونها في عمان .

ولم يكتف هؤلاء الأمراء الهنود بالترحيب بالجالية العمانية في بلدانهم ، بل تركوا لهم " حكما ذاتيا " يناسب ديانتهم ومعتقداتهم وعاداتهم وأعرافهم ، وهو ما يعرف بنظام الهزمة ، وهو نظام وقف عليه المسعودي بنفسه في مدينة صيمور ، ووصفه بأنه عبارة عن صيغة حكم يخول فيه لأحد المسلمين المقيمين بالمدن الهندية رئاستهم وتسيير شؤونهم ((فتكون أحكامهم مصروفة إليه)) ، دون أن تتدخل السلطات الهندية في أحوالهم . وكان الذي يتولى هذه المهمة الرئاسية سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م رجل يدعى أبو سعيد معروف بن زكريا الذي لا نعرف الجنسية العربية التي ينتمي إليها ، لكن من المؤكد أن الجالية العمانية كانت تخضع لأحكامه على غرار الجاليات الإسلامية الأخرى^{٨٦} . وليس لدينا من المادة المتاحة أي دليل يفيد أن الجالية العمانية كان لديها رئيسها الخاص . ويبدو أن نظام الهزمة شمل الجاليات الإسلامية برمتها، ولم يكن خاصا بكل جالية إسلامية على حدة. وقد استمر هذا النظام إلى عصر ابن بطوطة في القرن ٨هـ / ١٤م بدليل ما أورده في سياق حديثه عن مدينة فانكور Bareur أن بها

^{٨٠} ويلسون ، تاريخ الخليج ، تر. محمد أمين عبد الله ، مسقط ١٩٨٥ ، ص ٣١٤ - ٣٢٣ .

^{٨١} سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي ، سلسلة التواريخ ، باريس ١٨٤٥ م ، ص ٢٧ - ٢٨ .

^{٨٢} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

^{٨٣} ابن بطوطة ، م.س ، ص ٥٧٢ ، ومعلوم أن ابن بطوطة سافر عند عودته من قاليقوت إلى ظفار ضمن رحلة بحرية استغرقت ثمان وعشرين ليلة . انظر نفس المصدر ، ص ٦٥٢ .

^{٨٤} ياقوت الحموي ، م.س ، ج ٤ ، ص ١٥٠ .

^{٨٥} رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونيسيا سنة ٢٢٧ هـ ، دار منشورات البصرة ، مطبعة دار الحديث ، بغداد ١٩٦١ ، ص ١٠٠ .

^{٨٦} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

((جماعة من المسلمين يسمى كبيرهم بحسن السلاط))^{٨٧} . ولعل مصطلح " كبيرهم " يوحي بدلالة الرئيس الذي يتولى شؤون الجماعة .

وقد تمّ التعامل مع هذه الجاليات بكثير من التسامح ، إذ سمح لهم ببناء المساجد التي غصت بها المدن الهندية كما تكشف عن ذلك أوصاف الجغرافيين^{٨٨} . ونكتفي في هذا الصدد بذكر ما جاء على لسان المسعودي وهو يصف الحرية الدينية التي تمتعت بها الجاليات الإسلامية وضمنها الجالية العمانية في مملكة البلهرا ، إذ وصف هذا الحاكم الهندي بقوله : ((وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في مملكته إلا البلهرا ، فالإسلام في ملكه عزيز مصون ، ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين))^{٨٩} .

وفضلا عن احترام الحرية الدينية، فقد تمّ أيضا احترام حقوق الجاليات الإسلامية بما فيها الجالية العمانية ، وحسبنا ما جرت العادة عند أهل مدينة جرفتن أنه في حالة وفاة أحد أفراد الجاليات الإسلامية وترك ثروة أو مال، فإن جميع أملاكه تبقى بيد رئيس الهزمة حتى يتسلمها مستحقها حسب قوانين الشريعة الإسلامية^{٩٠} .

وغني عن القول أن نظام القضاء وكافة القوانين التي كانت تخضع لها هذه الجالية ظلت تستمد روحها من الشريعة الإسلامية ، حيث أسندت لها المناصب الدينية ، دليلنا على ذلك وجود قاض عماني في مدينة فندريا^{٩١} . ولعلّ إسناد المناصب للجاليات الإسلامية و العمانية على الخصوص ، يحمل دلالات بالغة الأهمية حول قوة وتغلغل النفوذ العماني داخل نسيج المجتمع الهندي .

ففضلا عن العائلات التي تولت حكم بعض الثغور الهندية مثل أسرة المهالبة ، تتردد أسماء شخصيات عمانية تقلدت إدارة بعض المدن في بداية الفتوحات الإسلامية مثل أبو المنذر عبد الله ، ووزير رباح في مدينة المنصورة^{٩٢} وغيره من الحكام الذين يذكرهم ابن بطوطة في عدة مواضع^{٩٣} .

ورغم اختلاف الديانات والأعراق بين أصحاب الأرض و الوافدين العمانيين ، فقد كان التعايش بين الجانبين قائما رغم بعض الغيوم العابرة التي كانت تكدر صفو علاقاتهما . وحسبنا أن الملوك الهنود سعوا إلى إطفاء جمره العصبية والعنصرية العرقية ، ينهض دليلا على ذلك نموذج ملك مدينة منجور الذي كان لا يتهاون في نزع فتيل الحروب الناشبة أحيانا بين المسلمين وأهالي المدينة . وغلبا ما نجح في إقرار الصلح بين الطرفين بدافع المصلحة الاقتصادية ضمنا لتدفق التجار العرب والعمانيين على مملكته^{٩٤} .

ويورد ابن بطوطة نصا بالغ الأهمية يعكس التسامح بين الجانبين ، إذ يروي حادثة شاهدها بالعيان ، مفادها أن امرأة من كفار الهنود في مدينة أجودهن قررت إحراق نفسها ، فسارت في إحدى شوارع المدينة والناس يتبعونها -

^{٨٧} ابن بطوطة ، م.س ، ص ٥٦٩ .

^{٨٨} نفسه ، ص ٥٦٣ .

^{٨٩} ابن سعيد ، م.س ، ص ١٢٠ .

^{٩٠} مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

^{٩١} ابن بطوطة ، م.س ، ص ٥٧٠ .

^{٩٢} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

^{٩٣} رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ .

^{٩٤} نفسه ، ص ٥٦٩ .

مسلمين وبراهمة - ، وقد تمّ استئذان الحاكم المسلم في تلك المدينة ، فسمح لها بتنفيذ ما يتمشى مع معتقداتها رغم تنافيتها مع قواعد الشريعة الإسلامية^{٩٥} .

ونميل إلى الاعتقاد أن هذا المناخ من التسامح الذي عاش فيه الطرفان إلى جانب طول الإقامة لبعض العمانيين ما جعل هؤلاء يقدمون على الزواج بالنساء الهنديات ، وهو ما سنعود إلى تفصيله في المحور التالي المخصص لدراسة أشكال المثاقفة .

III - دور الجالية العمانية في فضاء المثاقفة والحوار الحضاري العماني - الهندي :

من البديهي أن يتمخض عن الحضور العماني في بلاد الهند أشكال متنوعة من المثاقفة كنتيجة حتمية للحوار بين حضارتين متعايشتين ، مما أفرز ميلاد فضاء حضاري مشترك في مجالات الثقافة واللغة والزراعة وال عمران والعادات والتقاليد .

ونحسب - منهجيا - أنه لا يتأتى إدراك خيوط المثاقفة التي تركت بصماتها في نسيج المجتمع الهندي بفضل تأثير الجالية العمانية المقيمة ببلاد الهند إلا إذا استحضرنّا ثلاث مؤشرات نعتقد أنها تشكل المفاتيح الرئيسية لفهم الحوار بين الحضارتين :

- ١- المحيط الهندي ودوره كمجمع للحضارات ومنتج للوحدة الثقافية .
 - ٢- الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند وما أنتجته من مناخ سلمي عبرت منه الهجرات المتبادلة .
 - ٣- انتقال الأفكار والثقافات المحلية بواسطة السفن والقوى التجارية المتواجدة في المحيط الهندي .
- وعلى ضوء هذه المفاتيح الثلاثة ، يمكن قراءة الحوار الحضاري العماني - الهندي ، وما تمخض عنه من أشكال المثاقفة .

فالمحيط الهندي الذي مخترته سفن العمانيين في رحلتها نحو بلاد الهند ، كان - بامتياز - مجمعا للحضارات العربية والهندية والفارسية والصينية والآسيوية والإفريقية . وبقدر ما اتسعت شواطئه وخلجانه ، بقدر ما تعددت شعوبه وطوائفه ، وضم في سواحله أقدم الحضارات وأكثرها نضجا وعطاء ، لذلك فهو يعتبر بكل المقاييس أكثر المسطحات المائية التي أسهبت في التواصل الحضاري بين تلك الشعوب ، وأدت إلى انتقال كثير من عناصر الثقافة وانتشارها على امتداد شواطئه لتتصهر وتتفاعل مع بعضها البعض . وكانت التجارة أبرز المظاهر التي حملت في جوفها كل المشاهد الدينية والثقافية والحضارية ، وحسبنا أن سفن المحيط الهندي في ذلك العصر لم تكن مجرد وسيلة لنقل البضائع ، بل كانت أيضا وسيلة لنقل الأفكار والثقافات المحلية بين مختلف الموانئ لتتصهر تلك الثقافات ، وتجعل منها ثقافة متماثلة في خطوطها العامة .

وإذا كانت الحركة التجارية تبدو في ظاهرها وكأنها صورة لتتقل التجار أو العلماء أو الدعاة العمانيين، فإنها مع ازدياد حركة النشاط التجاري وتحقيق الوحدة الاقتصادية للعالم الإسلامي بعد ظهور الإسلام ، ومع طول الزمن

^{٩٥} نفسه ، ص ٤٣٠ .

الذي أصبحت تستغرقه الرحلات التجارية ، تحولت إلى حركة واسعة لانتقال عناصر الثقافة و شيوعها على امتداد المراكز التجارية المترامية على سواحل المحيط الهندي . ولعلّ القصص البحري من طراز " ألف ليلة وليلة " وغيرها ، تعد أنموذجا احتفظ لنا بصور حية حافلة تكشف حجم الصلات والتوافقات الحضارية ^{٩٦} .

من جهة أخرى ، جاءت الجالية العمانية إلى بلاد الهند وهي تحمل معها رسالة حضارية يطغى فيها السلم على الجانب الحربي ، فالحملات العسكرية التي شارك فيها العمانيون لم تكن من أجل الغزو والنهب . كما أنها لم تكن مقوضة للحضارة الهندية كما تزعم بعض الدارسات المنطلقة من مواقف مغلفة بغلاف التحامل والتعصب ^{٩٧} .

لقد جاء الفتح الإسلامي لبلاد الهند ليغير من أشكال العلائق الاجتماعية المتخلفة ، ويضع حدا للتسلط والاستبداد ، ويتمخض عنه انفتاح الطريق أمام الهجرة الجماعية للتجار والمدرسين والدعاة . ومع مضي الوقت أخذت البضائع والمدارس تحل محلّ السيف ، مما أنتج مناخا سلميا عبرت منه الهجرات المتبادلة ^{٩٨} ، فأصبحت جميع القوى السياسية في المحيط الهندي تتجنب الصراع والاحترا ب فيما بينها ، ولم تحدث محاولة للسيطرة أو الانفراد بثروات المحيط الهندي ، بل سعت جميع تلك القوى إلى أسلوب توافقي يهدف إلى الاستفادة ، مما أفرز مناخا من حرية الملاحة في شرايينه ، وجعل سواحله تتحول إلى خريطة بشرية مسالمة ، مرحبة بكل الوافدين تجارا ومسافرين ، باستثناء بعض عمليات القرصنة المعزولة التي كانت تقوم بها قوى هامشية يائسة ، فكانت جميع السفن تمخر عباب المحيط الهندي بين مختلف الموانئ في سلام ووثام ، ولعلّ هذا التناغم ما ساعد على خلق وحدة ثقافية للقوى التي كانت تتواصل أطرافها ^{٩٩} .

ومن رحم هذه المعطيات الإيجابية ، تأسس حوار حضاري بين شعوب المنطقة ، خاصة بين العمانيين والهنود موضوع دراستنا ، مما أسفر عن أشكال من المثاقفة على عدة مستويات :

١ - على مستوى الثقافة والدين :

من النتائج التي توصل إليها أحد الباحثين ^{١٠٠} أن التجار العرب ومن بينهم التجار العمانيون لعبوا دورا تجاريا حيويا في بلدان المحيط الهندي ، ولكنهم ((لم يشاركوا أو يساهموا مساهمة فعلية مقصودة في قيام نهضة علمية)) . بيد أن هذا الحكم رغم جرائته يفتقر إلى الدقة ويحتاج إلى التصويب . فالجالية العمانية على الأقل - وهي التي تهمنا في هذه الدراسة - ساهمت بشكل أو بآخر في نشر المعرفة بشبه القارة الهندية ، ذلك أن الدعوة الأباضية التي كانت المحرك الأساسي لتطلعات هؤلاء المغتربين العمانيين تحض على نشر الإسلام وتعاليم المذهب الأباضي خارج عمان ، و ترفع ذلك إلى مرتبة الواجب الديني الذي لا يقل أهمية عن الواجبات الدينية الأخرى . وبما أن الرحلات التجارية العمانية لم تخل من العلماء ، وكان التجار العمانيون أنفسهم علماء يحرصون على جعل

^{٩٦} أنظر مقدمة كتاب شوقي عثمان ، م ، س ، ص ٧ وما بعدها .

^{٩٧} أثبت الباحثان صباح إبراهيم الشخيلي و عادل محيي الدين الألوسي عدم صحة هذه النظرة الخاطئة لبعض الباحثين الهنود ، انظر :

تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق آسيا...م.س ، ص ٦٩ .

^{٩٨} إبراهيم القادري بوتشيش ، ((أثر الفتوحات الأموية في ترسيخ الصلات الحضارية بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية)) ، نشر

ضمن أعمال ندوة " الجزيرة العربية في العصر الأموي " ، الكتاب الرابع ، منشورات جامعة الملك سعود ، الرياض ٢٠٠٣ ، ص ١١٢ .

^{٩٩} شوقي عثمان ، م.س ، ص ١١٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

^{١٠٠} نفسه ، ص ٢٧٨ .

التجارة مورداً حلالاً لإنجاح مشاريعهم الدعوية^{١٠١} ، فإن الحديث عن التجارة هو في الوجه الآخر حديث عن نشر الإسلام و الثقافة الإسلامية ، وهي قاعدة يمكن تطبيقها على موضوع الدراسة . فالتاجر العماني الذي أبحر لنقل السلع ، واستقر في بلاد الهند استقراراً مؤقتاً أو دائماً ، حمل معه الثقافة العربية - الإسلامية ، وسعى بكل الوسائل لنشرها وإدماجها ضمن ثقافة الشعوب الهندية . وقد سبق التنويه بوجود قضاة وخطباء عمانيين انتشروا في بعض المدن الهندية . ولا يخامرنا الشك أن هؤلاء كانوا يقومون أيضاً بمهمة التدريس لأن القاضي أو الخطيب في ثقافة الحضارة الإسلامية هو فقيه وعالم يقوم بالوعظ وتلقين الدين والمعارف الإسلامية في المساجد والزوايا ، مما جعل بعض المدن الهندية تعج بالعلماء ، وهو ما يفهم من قول المقدسي^{١٠٢} الذي عاش في القرن ٤هـ / ١٠م وهو بصدد وصفه لمدينة قنوج الهندية أن ((بها علماء أجلة)) . وقد ظل الحضور العربي العماني في المجال الثقافي قائماً إلى عهد ابن بطوطة الذي تعرض لذكر العديد من العلماء والمدرسين والدعاة والصلحاء العمانيين ممن ألقوا عصا الترحال ببلاد الهند واختاروها موطناً من أمثال عز الدين الزبيري وحيدر العلوي وبدر الدين المعبري^{١٠٣} ، وغيرهم من العلماء الذين أسهموا في نهضتها المعرفية .

وقد استفادت المرأة الهندية أيضاً من هذا العطاء المعرفي الناتج عن إشاعة دروس العلم و الوعظ والتدريس حتى أن نساء سلطنة هنور أصبحت ((يحفظن جميعاً القرآن الكريم))^{١٠٤} . ونعتقد أن مصطلح "جميع" يعكس شيوع الظاهرة . وحتى لو افترضنا أن النص يحمل شحنة المبالغة ، فإنه يقف شاهداً على تعميم المعرفة في أوساط النساء الهنديات . وقد رأى ابن بطوطة أثناء زيارته لتلك السلطنة الهندية بأمر عينه ثلاثة عشر مكتبة لتعليم البنات ، فضلاً عن ثلاث وعشرين مكتبة لتعليم الذكور . وفي نفس المنحى يخبرنا أيضاً أن نساء دهلي كنَّ يؤدين صلاة التراويح في شهر رمضان ، علماً بأن وصفه للمدن الهندية الأخرى جاء في نسق محدد ، وهو إتحاف القارئ بأخبار المدن الهندية " العالمة " . ولتسهيل فهم القرآن الكريم و تقريب أحكامه وتشريعاته لمدارك الهنود ، تمت ترجمته سنة ٢٠٧هـ إلى اللغة الهندية^{١٠٥} .

وفي سياق المثاقفة أيضاً ، أسفرت رغبة العمانيين في التعامل التجاري مع الهنود إلى تعلمهم الحساب والأرقام الهندية التي سرعان ما دخلت إلى عمان و كافة أنحاء الخليج العربي ، فضلاً عن ترجمة بعض الكتب الهندية إلى العربية^{١٠٦} .

وإذا كانت مساهمة الجالية العمانية في نشر الثقافة الإسلامية ببلاد الهند أمر لا يرقى إليه الشك ، فإن مساهمتها في نشر الإسلام بها لا يحتاج إلى دليل ؛ وفي تقديري أن هذا الموضوع يحتاج لدراسة مستقلة ، وهو ما يجعلنا نكتفي في هذا المقام بخطوطه العريضة ، تاركين لأقلام الباحثين مهمة البحث المفصل في جوانبه .

^{١٠١} إبراهيم القادري بوتشيش ، التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب ...م.س ، ص ٤٤ .

^{١٠٢} أحسن التقاسيم ، ص ٤٨٠

^{١٠٣} ابن بطوطة ، م.س ، ص ٤٢٢ ، ٤٥٤ ، ٥٦٩ .

^{١٠٤} نفسه ، ص ٤٤١ .

^{١٠٥} الشихلي و الألوسي ، م.س ، ص ١٧٥ .

^{١٠٦} سعيد عبد الفتاح عاشور وعوض محمد خليفات ، عمان والحضارة الإسلامية ، منشورات جامعة السلطان قابوس ، مسقط ١٩٩٦ (١١ ط) ، ص ٥٦

لا يتأتى إدراك انتشار الإسلام في بلاد الهند بمعزل عن الخلفية التجارية ، فرغم أن الفتوحات الإسلامية بدأت في ترسيخ جذور الإسلام بالغور الهندية بحد السيف أحيانا و بالصلح أحيانا أخرى ، فإن التجار والدعاة العمانيين منهم على الخصوص لعبوا دورا حيويا في هذا المجال ، إذ انتشر الإسلام في كل مدينة هندية أو مكان وصل إليه تاجر أو داعية أو فقيه مسلم حتى كادت أن تتم " أسلمة " ساحل مليبار برمته ، علما أن هذا الساحل كان أكثر المناطق تمثيلا لحضور التجار والدعاة العرب والعمانيين بفضل الحركة التجارية المارة هناك .

ونحن في غنى عن التذكير أن الإسلام بفكره المساواتي جعل الطبقات الفقيرة المضطهدة في الهند تسارع إلى اعتناقه ، كما أن ما تحمله تعاليمه السمحاء من محبة وتسامح جعل حتى الأثرياء منهم يعلنون إسلامهم. ويقدم ابن بطوطة ^{١٠٧} مراسيم العادة التي كان يتبعها الهندي في إثبات في اعتناقه الإسلام بقوله : ((ومن عاداتهم بتلك البلاد - مدينة جنديري - أن الهندي إذا أراد الإسلام أدخل إلى السلطان ، فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة و أساور من ذهب على قدره)) .

وكان الهنود الذين اعتنقوا الإسلام يحرصون على تأكيد الروابط التي تربطهم بالتجار العمانيين الذين يرجع إليهم الفضل في إسلامهم ، فيفتخرون بأنهم من أنجال هؤلاء التجار الذين أقاموا في بلادهم منذ أزمنة بعيدة. ومن هذا القبيل جماعة المابلا Mappilas القاطنة بساحل المليبار حيث انتشر الإسلام بين ظهرائهم منذ القرن ١٢ هـ / ٨ م ، وكانوا يرجعون الفضل في إسلامهم إلى أحد ملوكهم الذي رحل إلى ظفار سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، وتوفي بها أربع سنوات بعد ذلك. ويذهبون إلى القول بأن قبره الموجود في ظفار يحمل نقشا يتضمن اسمه وتاريخ وفاته هناك ^{١٠٨} . ولم يقتصر اعتناق الإسلام على الطبقات الفقيرة ، بل شمل أيضا ملوك الهند ^{١٠٩} الذين بادروا إلى الدخول في العقيدة السمحاء ، نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر حاكمي مدينتي الملتان و صيمور ، فضلا عن مملكة البلهرا (لقب الملك) التي تسمى ملوكها بأسماء عربية مثل لقب الحاج . وكان لحاكم هذه السلطنة علاقات ودية مع الجالية الإسلامية الموجودة بها حيث حظيت بالرعاية والاحترام والتقدير ، ((فالإسلام في ملكه عزيز مصون)) ^{١١٠} .

نفس القول يقال عن إسلام بعض السلطنات الهندية الأخرى مثل سلطنة جرفتتين وهنور ومادورا وغيرها من السلطنات التي أسهب المسعودي و ابن بطوطة في وصف معالمها الإسلامية ^{١١١} .

و الحاصل أن انتشار الثقافة العربية والدين الإسلامي شكل مظهرا من مظاهر المثاقفة و التعايش بين الجاليات العمانية و الشعوب الهندية ، فماذا عن المثاقفة على مستوى العادات والتقاليد الاجتماعية ؟

٢- على مستوى العادات و الاندماج الاجتماعي :

^{١٠٧} رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٤٦ .
^{١٠٨} رجب عبد الحليم ، م.س ، ص ٧٨ .
^{١٠٩} الحميري ، م.س ، ص ٥٤٦ .
^{١١٠} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
^{١١١} للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع الذي يطول عنه الحديث أنظر ، رجب عبد الحليم ، م.س ، ص ٧٦ - ٨٣ ، وقد اعتمد في دراسته على نصوص ابن بطوطة ، وقد أجملنا الموضوع نظرا لشجاعته .

لا جدال في أن العادات و التقاليد المشتركة بين ثقافتين مختلفتين تعد انعكاسا أميناً للمثاقفة والتعايش فيما بينها ، وهو ما يمكن البرهنة عليه بخصوص الجالية العربية والعمانية من جهة ، والشعوب الهندية من جهة أخرى .
يعد الزواج و المصاهرة أولى انعكاسات هذا الانصهار الاجتماعي الهندي - العماني ، إذ أن طول إقامة التجار العمانيين و دعائهم وعلمائهم وكل الوافدين على بلاد الهند من بني جلدتهم جعلتهم - حفاظا على عفتهم وإكمالا لدينهم - يرتبطون بهم بعلاقات مصاهرة عن طريق الزواج بالنساء الهنديات .

وترجع جذور هذا الزواج المختلط إلى القرن الأول الهجري حيث تذكر إحدى الروايات أن كعب الراسبي - أحد أفراد حاشية الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٧ هـ) تزوج بإحدى بنات أخت ملك الهند داهر ^{١١٢} .
و بعد الفتوحات الإسلامية ، واشتداد عود الحركة التجارية العمانية وكثافة نشاطها في بلاد الهند ، ارتفع إيقاع الزواج . ويبدو من خلال قراءة متمعة في نص المسعودي الذي تناول فيه خبر الجاليات المسلمة و العمانية الموجودة في مدينة صيمور أن العدد الذي قدمه وهو عشرة آلاف ينحصر في الجاليات التي استوطنت المدينة بكيفية نهائية و تزوج رجالها من نساء هنديات ، وهو ما يفهم من قوله ((... ممن تأهل و قطن تلك البلاد...)) ، مما يعني أنه ربط مسألة الإقامة في تلك المدينة بالزواج والاستقرار .

والملفت للانتباه في هذا الصدد ورود مصطلح " البياسة " عنده كفة من فئات الجاليات الإسلامية المقيمة في مدينة صيمور ، ويشرح للقارئ هذا المصطلح بقوله : ((ومعنى قولنا البياسة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض الهند)) ^{١١٣} ؛ وهو بذلك يزود الباحث بمعطى على جانب عظيم من الأهمية في دراسة التفاعل الحضاري بين عمان والهند ، ويتعلق الأمر بامتزاج الدم العربي العماني - الهندي الذي تمخض عنه ظهور هذا الجيل الجديد المسمى بـ " البياسة " . ورغم أن نص المسعودي يشمل كل الجاليات الإسلامية ، فإن ذكره للعمانيين ضمنها يؤكد بالملح أن البياسة هم نتاج زواج مختلط بين العمانيين والهنديات ، مما تمخض عنه وجود أسرة عمانية - هندية لها حمولة دلالية بارزة في حوار الحضارات .

وثمة نص آخر يؤكد الاتجاه نحو تكوين أسرة عمانية - هندية ، يتجلى في الخبر الذي أورده المسعودي ^{١١٤} أيضا حول إقدام المهلب بن أبي صفرة أثناء ولايته لإحدى ثغور الهند على تربية غلام هندي . ورغم ما تحمله الرواية من نهاية مأساوية ، فإنها تسمح بالقول بوجود العنصر الهندي داخل الأسرة العمانية المقيمة ببلاد الهند ، مع ما يعكسه ذلك من مظاهر التعايش بين حضارتين .

ومن انعكاسات المثاقفة بين الحضارتين العمانية والهندية أيضا وجود عادات مشتركة في مجال التغذية ؛ وفي هذا الصدد تستوقفنا ظاهرة تأثر المسلمين وضمنهم العمانيون بالأطعمة الهندية والتعود - بحكم إقامتهم الطويلة - على أكل بعض الأطعمة التي لم تكن مألفة لديهم من قبيل التعود على أكل لحم الكركدن باعتباره نوعا حيوانيا حلالا يشبه البقر والجواميس التي كانت تربي ببلاد الهند ^{١١٥} . ومن مظاهر المثاقفة أيضا نسجل تأثر الهنود

^{١١٢} الكوفي ، فتح السند ، ص ١٨٤ .

^{١١٣} نفس المصدر والصفحة .

^{١١٤} نفسه ، ص ٢٣٦ .

^{١١٥} المسعودي ، ج ١ ، ص ١٧١ .

بالأسماء العربية التي اتخذوها لقبا لهم أو لأبنائهم ، ولعلّ لائحة الأسماء التي يوردها ابن بطوطة حول ملوك الهند وأعيانها تدعم هذا الرأي . ولا نستبعد أن يكونوا قد حملوا أيضا أسماء عمانية بفضل الاحتكاك مع التجار العمانيين .

وبالمثل ، تأثر الهنود ببعض التقاليد العربية - العمانية من قبيل الترحم على السلطان بعد وفاته بقراءة القرآن على قبره إلى غاية اليوم الأربعين من رحيله ، مع تكرار ذلك كل سنة في ذكرى وفاته . كما تأثروا أيضا بمظاهر الاحتفال بتقلد السلطان مقاليد الحكم باتباع الطريقة الإسلامية في مراسم الاحتفال . ناهيك عن تأثر بعض ملوك الهند بالطريقة الإسلامية في تقديم أرزاق جنودهم من بيت مال المسلمين كما هي عادات السلاطين والأئمة العمانيين^{١١٦} .

أما على مستوى اللغة المتداولة فرغم اختلاف اللغات ببلاد الهند^{١١٧} ، فإن طول إقامة التجار العمانيين بها ، فضلا عن جهود دعائهم ، سمح لمصطلحات اللغة العربية بالانتشار في المدن والمراكز التجارية الهندية الكبرى ، والامتزاج مع لغة الأهالي ، مما أسفر عن ظهور لغة خاصة عرفت في المصادر باللسان السندي والعربي^{١١٨} ، وهي مزيج من العامية العربية ومصطلحات مقتبسة من بعض لغات شبه القارة الهندية.

وإذا كانت اللغة العربية بفضل ما تتميز به من قدرة و جمال على التعبير قد أثرت في لغات الهند ، فإنها اقتبست هي أيضا بعض الألفاظ من اللغة الهندية ، خاصة المصطلحات المتداولة في أوساط النواخذة العمانيين مثل البارجة وبعض السلع من قبيل الفلفل و النارجيل والقرنفل وغيرها من المصطلحات ذات الأصل الهندي^{١١٩} .

٣- على المستوى الاقتصادي والمعماري :

حملت الجالية العمانية عند عودتها إلى عمان بعض السلع النباتية التي تركت بصمة جديدة في المجال الزراعي العماني . وحسبنا أنه تم نقل زراعة شجر النارج و الأترج إلى عمان في القرن ١٠هـ / ١٠م^{١٢٠} . كما تم نقل زراعة جوز الهند من بلاد الهند إلى عمان في القرن الذي يليه ، هذا فضلا عن نباتات شجرية أخرى لم يكن ليكتب لها الانتشار في عمان لولا الصلات التي ربطتها بالهند ، ونعتقد أن الجالية العمانية المقيمة بها - خاصة فئة التجار - كان لها الدور الأكبر في هذا التطور الزراعي .

ولما كان الحرفيون الهنود يفضلون العاج الإفريقي على عاج أفيالهم نظرا لليونته وسهولة تشكيله ، فإن العمانيين لعبوا دورا أساسيا في نقله إليهم ، مما أدى إلى ازدهار صناعة أساور العروس ، خاصة أن التقاليد الهندية كانت

^{١١٦} ابن بطوطة ، م، س، ص ١٧٠ .

^{١١٧} المسعودي ، م. س، ج ١ ، ص ١٦٩ ، وفيه يتحدث عن وجود اللغة الكيرية واللارية .

^{١١٨} ابن حوقل ، م. س، ص ٣٢٢-٣٢٣ - المقدسي ، م. س، ص ٤٧٩ .

^{١١٩} شوقي عثمان ، م، س، ص ٤٧ .

^{١٢٠} آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تر. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

تفرض أن تتحلى العروسة الهندية بالعاج من المعصم إلى الكف . كما كان العاج يستعمل أيضا في صناعة مقابض السيوف والخناجر والحراش والشطرنج وغيرها ^{١٢١} .

ومن مظاهر المثقافة التي انعكست في المجال الحرفي كذلك تشابه طريقة الخياطة المستخدمة في صناعة السفن ، حيث تم استخدام خيوط ليف النارجيل بدلا من المسامير في السفن العمانية والهندية على السواء ^{١٢٢} . ويعزى ذلك إلى أن السفن المخططة تتمكن من امتصاص صدمات أمواج البحر ^{١٢٣} . كما توحدت طرق صناعة السفن باستعمال مادة موحدة وهي خشب الساج ، وهي وحدة تؤكد شدة التلاحم والتواصل بين العمانيين والهنود ، وهو ما حدا بأحد الباحثين ^{١٢٤} إلى القول بأن العمانيين اتبعوا في صناعة سفنهم نفس التقاليد السائدة في المحيط الهندي . وعلى متن هذه السفن الموحدة الصنع والتي عكست وحدة اليد العاملة العمانية - الهندية ، ركب حواشير بن يوسف الأزكوي وهو ملاح عماني حوالي سنة ٤٠٠ هـ مركب دبوكره الهندي ^{١٢٥} ، وهو حدث يقدم أنموذجا في الحوار بين الحضارتين .

ولا يفوتنا الإشارة كذلك إلى الأثر الحضاري الذي خلفته الجالية العمانية المقيمة في بلاد الهند - مع كافة الجاليات الإسلامية الأخرى - في تحقيق نهضة عمرانية شملت ظهور مدن جديدة و تعمير مدن هندية أخرى . فقد ظهرت لأول مرة مدينة المنصورة ^{١٢٦} ، ثم مدينة المحفوظة التي شيدها الحكم بن عوانة الكلبي ^{١٢٧} كما شملت هذه النهضة العمرانية بناء المساجد في عدة مدن كمدينة كنبابيه ^{١٢٨} ، ومملكة البلهرا ^{١٢٩} ، فضلا عن مدينة فانكور التي شيد بها حسن السلطان مسجدا لإقامة صلاة الجمعة .

ويربط ابن بطوطة ^{١٣٠} بناء المساجد بالجاليات الإسلامية المقيمة بالهند إذ يقول عن كنبابيه : ((وهذه المدينة من أحسن المدن في إتقان البناء وعمارة المساجد ، وسبب ذلك أن أكثر سكانها التجار الغرباء ، فهم أبدا يبنون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ، و يتنافسون في ذلك)) ، وهو نص يشي بدور الجاليات الإسلامية وضمنها الجالية العمانية وإسهاماتها في نشاط عمراني مكثف شمل إلى جانب المساجد ، الديار والمنازل التي شيدت بطراز فني رفيع شبيه بالطراز العماني ، ينهض قرينة على ذلك قول المقدسي ^{١٣١} عن جامع المنصورة: ((والجامع من حجر وأجر كبير مثل جامع عمان)) . وإذا ذهبنا مع اجتهادات بعض الدارسين ^{١٣٢} ، في أن الناخوذة حسن الذي

^{١٢١} سليمان مالكي ، سلطنة كلوة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٨٦ - ٨٧ ، اقتباسا من : رجب عبد الحليم ، م ، ص ٦٦ .

^{١٢٢} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

^{١٢٣} شوقي عثمان ، م ، س ، ص ١١٨ - ١٢٥ .

^{١٢٤} عبد الرحمن العاني ، م.س ، ص ١٨٥ .

^{١٢٥} أنور عبد العليم ، م.س ، ص ١٤٠ .

^{١٢٦} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

^{١٢٧} البلاذري ، م.س ، ص ٤٣٠ .

^{١٢٨} ابن سعيد ، م.س ، ص ١٢٠ .

^{١٢٩} المسعودي ، م.س ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

^{١٣٠} رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٦٠ .

^{١٣١} المقدسي ، م.س ، ص ٤٧٩ .

^{١٣٢} رجب عبد الحليم ، م ، س ، ص ٧٢ .

بنى مسجدا كبيرا بجزيرة تندابور من أهل عمان ، أمكن الوقوف على مدى حجم مساهمة الجالية العمانية في بناء المساجد بالديار الهندية .

ويقدم ابن بطوطة^{١٣٣} بعض النصوص التي تعكس تميز بعض المساجد والجوامع بروعتها الفنية التي زاوجت بين الفن الإسلامي والهندي ، من ذلك مدينة فاندريا التي كانت تشتمل على ثلاث محلات وفي كل محلة أقيم بها مسجد ، في حين كان الجامع يوجد على الساحل ، وهو الذي يصفه بأنه ((عجيب له مناظر و مجالس على البحر)) ، علما أن خطيب هذا الجامع من أهل عمان أيضا ، وكان يقيم معه أخ عماني وصفه بالفضل ، نرجح أن يكون قائما بمهمة التدريس في هذا الجامع .

وبالمثل ، تمخض عن الحضور العماني في بلاد الهند ظهور زوايا خصصت لإطعام الغرباء والوافدين مثل الزاوية التي أقيمت في مدينة بكار^{١٣٤} ، أو تلك التي أسست في مدينة صاغر على ساحل المليبار حيث ورد ذكر خبر إنشائها في صيغة الجمع ((فيها الزوايا للوارد والصادر))^{١٣٥} . وكان كل من يبني زاوية يحبس البستان عليها ، ويجعل فيه النظر لأبناء المحبس ، فإذا توفي عاد النظر فيها للقضاة ، مما يدل على أن نظام الوقف انتقل إلى الحضارة الهندية وتعايش معها . وكان التجار المقيمون بالهند ، هم الذين يتكفلون ببناء هذه الزوايا كما يعكس ذلك نموذج مدينة كنبابية التي بنى بها أحد التجار ((زاوية يطعم فيها الوارد والصادر ، وينفق على الفقراء والمساكين))^{١٣٦} .

جماع القول أن البحث حاول أن يميظ اللثام عن تاريخ الجالية العمانية ببلاد الهند خلال العصر الإسلامي الوسيط بتحليل مختلف المقاربات التي تفسر انجذابها وتعلقها بتلك البلاد ، ودراسة ظرفية هجرتها وانتقالها واستقرارها في بعض المدن الهندية . كما سعى إلى النش والتقيب عن أوضاعها وكيفية اندماجها في المجتمع الهندي والأدوار التي لعبتها ، مما سمح بتقديم مشهد يكشف عن أشكال متنوعة من الثقافة والحوار ، وينطق بميلاد فضاء حضاري عماني - هندي مشترك . ورغم أن المتون النصية لم تسمح بالإجابة عن كل التساؤلات وملء كل البياضات التي تعترى الموضوع ، فقد تمكن البحث من استغلال المعطيات المتاحة لجعل الجالية العمانية خلال تلك الحقبة التاريخية في منطقة الضوء . وفي تقديري أن البحث الأثري قد يساهم في إثراء تاريخها ، وترميم الحلقات المفقودة التي لم يجب عنها النص المكتوب بشكل عميق ، وتلك مهمة نتركها للباحثين الأركيولوجيين المتخصصين .

تم بحمد الله

^{١٣٣} رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٧١ .

^{١٣٤} تسمى اليوم بحر ، وهي جزيرة في نهر الهند بين سكور وروهي .

^{١٣٥} ابن بطوطة ، م.س، ص ٥٦٠ .

^{١٣٦} نفسه ، ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

ببليوغرافيا البحث

المصادر :

- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، تحقيق طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) .
- ابن حوقل ، صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩ .
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، سيديروم مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية ، الخطيب للتسويق والبرامج ، الأردن ، عمان ، ج ١ .
- ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، بريل ليدن ١٨٩١ .
- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٠ ، (ط ١) .
- ابن الفقيه ، كتاب مختصر البلدان ، بريل ليدن ١٩٦٧ .
- ابن ماجد ، ثلاثة أزهار في معرفة البحار ، تحقيق تيودور شوموفسكي ، ترجمة محمد منير موسى ، القاهرة ١٩٦٩ .
- ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، نشرها أوسكر لوفرفين ، منشورات المدينة ١٩٨٦ .
- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، منشورات المعهد الجامعي الشرقي بنابولي ، تحقيق. مجموعة من الباحثين ، طبعة نابولي - روما (ط ٢) (د.ت) ، ج ٢ .
- الإصطخري ، المسالك والممالك ، بريل ليدن ، ١٩٦٧ .
- برزك ، عجائب الهند ، نشر فان دير ليث ، ترجمه للفرنسية مارسيل دوفيك ، ليدن ١٨٨٣ - ١٨٨٦ .
- البكري ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الله يوسف غنيم ، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ١٩٧٧ .
- البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٨ .
- الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق. عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابلي وأولاده ، مصر ١٩٣٨ (ط ١) .
- الحميري ، الروض المعطار ، تحقيق. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٤ (ط ٤) .
- الزبيدي ، تاج العروس ، دار لبنان للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٦٦ .
- السالمي ، اللمعة المرضية من أشعة الأباضية ، مسقط ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٣ .
- سرحان بن سعيد الأزكوي ، كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، مطابع سجل العرب ، مسقط ١٩٨٦ (ط ٢) .
- سعد علي المغيري ، جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق عبد المنعم عامر ، طبعة مصر ١٩٧٩ .
- سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي ، سلسلة التواريخ ، باريس ١٨٤٥ م .
- السيرافي ، أبو زيد ، رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونيسيا سنة ٢٢٧ هـ ، دار منشورات البصرة ، مطبعة دار الحديث ، بغداد ١٩٦١ .

- القلقشندي ، صبح الأعشى في ديوان الإنشا ، تحقيق ، نبيل خالد الخطيب ، بيروت ١٩٨٧ (ط١) ، دار الكتب العلمية ، ج ٥ .

- ماركوبولو ، رحلة ماركوبولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧
- المسعودي ، مروج الذهب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٦٤ (ط٤) ،
الجزءان ١ و ٣ .

- المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، نشر مكتبة مدبولي ، طبعة القاهرة ١٩٩١ (ط٣) .
- مؤلف مجهول ، السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان ، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ١٩٨٦ ، ج ١
- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، (د.ت) ، ج ٥ .

الدراسات الحديثة : (عربية وأجنبية)

- بوتشيش ، إبراهيم القادري ، التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب ، منشورات جامعة السلطان قابوس ، مسقط ٢٠٠٠ .

- بوتشيش ، إبراهيم القادري ، ((أثر الفتوحات الأموية في ترسيخ الصلات الحضارية بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية)) . نشر ضمن أعمال ندوة " الجزيرة العربية في العصر الأموي " ، الكتاب الرابع ، منشورات جامعة الملك سعود ، الرياض ٢٠٠٣ .

- الدوري ، عبد العزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٨ (ط١) .

- سعيد عبد الفتاح عاشور وعوض محمد خليفات ، عمان والحضارة الإسلامية ، منشورات جامعة السلطان قابوس ، مسقط ١٩٩٦ (ط١١) .

- الشخيلي و الألوسي ، تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، طبعة بغداد ١٩٨٩ .

- العاني ، عبد الرحمن عبد الكريم ، دور العمانيين في الملاحة و التجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري ، منشورات وزارة التراث القومي و الثقافة، مسقط ١٩٨١ .

- العاني ، عبد الرحمن عبد الكريم ، تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى ، ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية ، دار الحكمة ، لندن ١٩٩٩ (ط١) .

- عبد الحليم ، رجب محمد ، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين ، مكتبة العلوم، مسقط ١٩٨٣ .

- عبد العليم ، أنور ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٣ ، يناير سنة ١٩٧٩ .

- حوراني ، جورج ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة يعقوب بكر ، مكتبة الأنجلو - مصرية ، (د.ت)

- عثمان ، شوقي ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٥١ ، الكويت ١٩٩٠ .
- فرزات ، محمد ، ((العلاقات الحضارية بين الخليج العربي و شبه القارة الهندية حتى الألف الأول قبل الميلاد)) ، مجلة دراسات تاريخية .
- مجموعة من المؤلفين ، عمان في التاريخ ، منشورات وزارة الإعلام ، سلطنة عمان - دار اميل للنشر المحدودة ، لندن ١٩٩٥ .
- ميتير ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤١ ، ج ٢
- ويلسون ، تاريخ الخليج ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، مسقط ١٩٨٥ .
- AL- Humaidi. s., Makran and Batuchistan from the Early Islamic Conquests down to the (Mongol Envasion . (MS.). A thesis Submitted to the victoria University of Manchester , for the degree of ph . D , the Faculty of Arts , dept .of Middle Eastern Studies ,June ١٩٨٨
- Warminghamton, E,H, The Commerce between The Roman Empire and India, Cambridge, ١٩٢٨.

الرموز المستعملة في البحث :

- تح = تحقيق
- تر = ترجمة
- مج = مجلد
- ع = عدد
- (د.ت) = دون ذكر تاريخ الطبعة
- (د.م) = دون ذكر مكان الطبعة